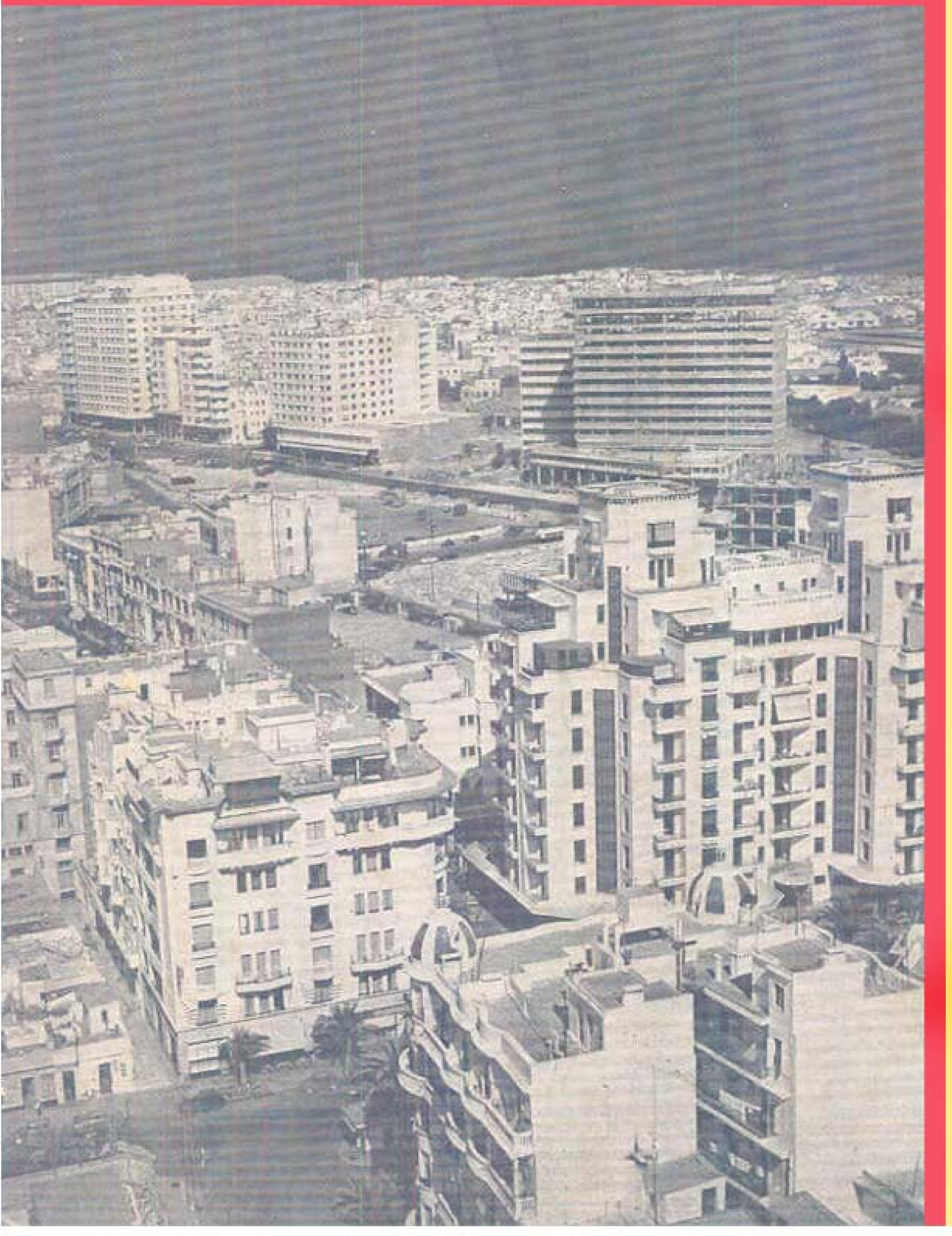
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية
وبشؤون الثقافة والفكر



تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط
المغرب الأقصى

العدد الحادي عشر
السنة الاولى
شوال ١٣٧٧
مايو ١٩٥٨
الثمن ١٠٠ فرنك



نشر في هذا العدد مقالا « نقديا » للشاعر الاستاذ محمد الحلوي ، كتبه تعليقا على قصيدة «في موكب الربيع» للشاعر الاستاذ عبد الكريم التواني التي نشرت في العدد الماضي من هذه المجلة .

ونحن بهذه المناسبة نريد ان نتوجه الى كتابنا وادبائنا بكلمة في الموضوع، نرجو ان تجد صداها في نفوسهم وعلى السنة اقلامهم ، ذلك ان من الملحوظ الواضح في حركتنا الادبية ، خلوها نهائيا من عنصر « النقد » كأننا جميعا على استعداد مقدما لقبول كل ما يقال لنا ويكتب من اجلنا ، وكأن ادمغتنا ومشاعرنا جميعا صيغت على قالب واحد ، فنحن لا ننكر شيئا منها ، ولا ننكر شيئا من الاساليب التي يختارها بعضنا للتعبير عن هذه المشاعر والافكار

والواقع اننا جميعا نستحسن ونستهجن ، ونقبل ونرفض ، ونرضى عن بعض الانتاج ، ولا نرضى عن بعضه الآخر ، ونتحدث في ذلك كثيرا ، ولكن في الشارع عندما نتقابل صدفة ، او في البيوت ونحن على مائدة الشاي ، او في غير ذلك من المناسبات الخاصة الضيقة .

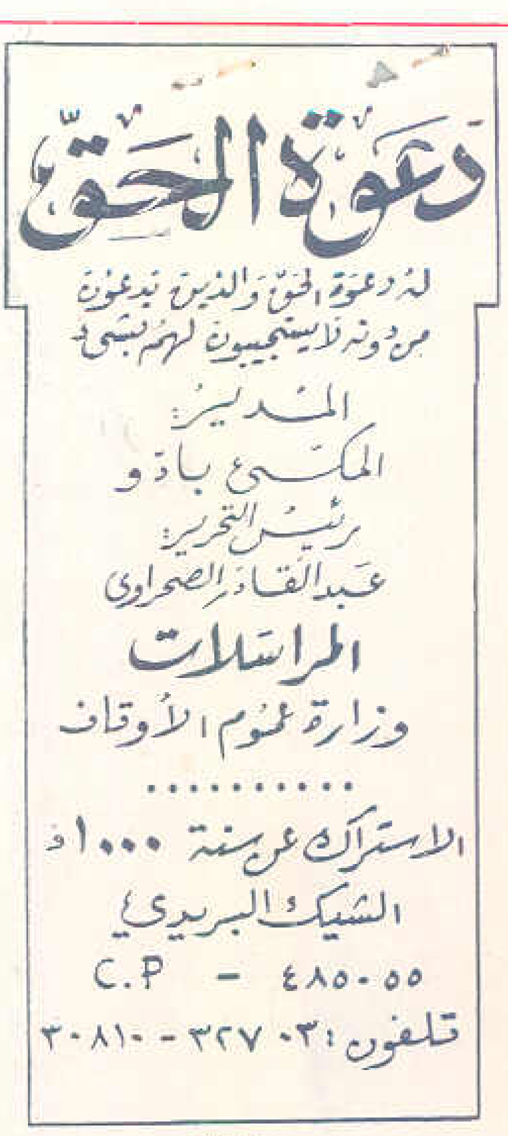
اما جهرا على صفحات الجرائد والمجلات ، فنحن لا نفعل شيئا من ذلك، اما خوفا من التورط في جدال او خصومة ، او لقلة ثقة بما يبدو لنا من ملاحظات واختلاف في وجهات النظر ، او تحرجا من ايذاء الكاتب او الشاعر الذي نريد ان ننقده ، او لغير ذلك من الاسباب التي قد يكون بعضها وجيها في حد ذاته ، بشرط ان نتفق مقدما على اهدار واجب الحركة الادبية علينا ، وعلى اهدار حق القارىء العادي ، الذي من واجبنا نحوه ان نساعده على التمييز ، وان نفتح عينيه على مواطن الاحسان والاساءة معا ، ليكون على بينة من امره ، وليتعلم هو ايضا ان يستعمل رايه ويحكم فكره ، وأن يجادل ويناقش ، بدل ان يستسلم في حالة لا وعي ولا مبالاة لكل ما يلقى اليه من الكلام والافكار .

على ان النقد ليس معناه البحث عن المساوىء والزلات والنقائص فقط ، فقد نقرأ مقالا او قصيدة او قصة ، فنعجب بها اعجابا كبيرا ، اعجابا واعيا بمكامن الاجادة والاحسان والتفوق فيها ، فيكون من واجبنا اذ ذاك ان « ننقدها » اي ان نكتب عنها ، لنعلن اعجابنا بها اولا ، ولنشرح للقارىء ، وربما للكاتب او الشاعر نفسه ، كيف تأتي له هذا الابداع ، ومن اين له هذا التفوق ، واين تكمن بالضبط اسباب الروعة في انتاجه ، فقد يكون الكاتب او الشاعر نفسه غافلا عن ذلك ، وقد لا ينظر الى ما اتيح له من ابداع بما يستحقه من التقدير والاعتبار ، لانه كتبه في حالة انفعال اتاحت له ان يصطنع اسباب الاجادة دون ان يبحث عنها او يشعر بها ، وما من كاتب او شاعر او قصاص الا مرت به حالات من هذا القبيل .

« ودعوة الحق » على استعداد للترحيب بكل ما يكتب اليها في نقد ما تنشره ، لا تشترط لذلك الا شرطا واحدا فقط ، هو وضع حد فاصل وواضح جدا بين الانتاج المراد نقده ، وبين شخص كاتبه ، اي ان يعني الناقد بنقد الافكار فقط ، وان يترفع عن ذكر صاحبها في شخصه بما يؤذيه او يسوؤه او ينال منه .

ان النقد بناء وتعاون وعمل مشترك ، يستهدف غاية واحدة ، هي البحث عن الحقيقة ، وابعاد الشوائب عنها ، وابرازها وحدها جلية واضحة ناصعة . اننا نرحب بالنقد ، النقد البناء .

دعوة الحق



صورة الغلاف

مدينة الدار البيضاء ، العاصمة التجارية بالمغرب تمتاز بعماراتها الشاهقة وشوارعها الفسيحة الانيقة . وقد لعب الفدائيون بها دورا هاما في معركة التحرير .

يبدو في اقصى الصورة شارع القوات المسلحة الملكية ، الذي سيكون اكبر واعظم شارع بالمدينة





7

ـ مقدمات المؤتمر ـ

للاستاذ الكبير
السيد المختار السوسي

لما اظل المؤتمر كتب الي حماد هذه الرسالة :

فاس ـ مراكش

اعلن اليك اعظم بشارة اوقن انها تملأ فؤادك سرورا . كما توقن انت بدورك انها ملات فؤادي قبلك غبطة وحبورا . فقد ادتني الدراسة الى نتيجة لم اكن انتظرها بهذه السرعة ، فقد امضيت العشرين يوما المنصرمة . فى البحث والتنقيب ، حتى ثلج صدري بايقان ان هناك قوة عالمة حكيمة تفعل بارادة ، وان كنت لم اصل الى ذلك الا بطريقتك المعبدة الواضحة ، فشكرا لك كما هديتني الى اقرب طريق موصلة ، فقد سهرت فى هذه الاسابيع وظللت فى تفكيرات طويلة ، وبين موازنة ما ينتج لي عنها ، حتى ايقنت انني لم اكن اسير الوهم . ولا منقادا بخيال الشعور ، فالعجيب انني لم اكد اهتدي الى اول بارق مما ادركت . حتى احسست كان ما ادركته يتراءى لي غير مجهول لدي ، بل ماتوسا مالوفا ، وان كنت قبل لا احفل به ، ولا اعده فى دائرة الموجودات . فما اعظم غفلات الانسان احيانا .

راجعت ما امكنني من حجج الذين ينفون وجود هذه القوة الطبيعية ، ومن براهين الذين يثبتونها ويسمونها النواميس الطبيعية ، فوجدت عين ما توصلت اليه بطريقتك ، هو عين ما يقولون ، بل ما كانوا سلكوا الا مثل طريقتك عينها الى ادراك ما ادركوا ، فحمدت الله على موافقة فلاسفة جبابرة فى تعقلهم وتثبتهم وفى ابتعادهم عن مجالات الاوهام ، فما ظنك بمثل رينان وباسكال وجول سيمون وكثيرين نظرائهم فيالسعادتي وهنائي حين وقعت على اعظم اكتشاف بالنسبة الى مثلي الذي امضى صفوة شبابه فيما امضاها فيه .

اتعلم انني الان اتذوق لذة اخرى صارت تنسيني شيئا فشيئا مباهج الحياة وملذاتها! فيالعجائب الطبيعة وبالقوتها الخارقة ، بل بالنواميسها الخارقة ـ فقد حبب الي منذ اعتنقت هذا المذهب ان استبدل عبارة " القوة الطبيعية ، بالنواميس الطبيعية ، توحيدا للتعبير عن مذهب واحد ـ .

واخيرا ارفع اليك تشكراتي الحارة ، واضع بين يديك سؤالا عرض لي بعد ان اقررت بان ما يدير هذا الكون له علم وحكمة وقوة وارادة ، وهو : كيف هذه النواميس الطبيعية ؟ وهل هي واحدة او جماعة متفقة اتم اتفاق ابدي تدير هذا العالم ؟ افتح لي بفضلك باب هذا المبحث لعلني اتتبع فيه دراستي ، فقد اصبحت نشوان بسلافة البحث ، حتى كنت اتهرب من سماري وحبائبي وميادين اللهو التي ما كنت اتصور قط تخلفا عنها ، ولكن يحدث من بعد امور امور .

دمت مصونا للافادات الدائمة .

حماد

الجواب :

اهنئك من اعماق فؤادي تهنئة حارة حين انتصرت هذا الانتصار الباهر . ومن كان في مثل ذكائك وثقوب ذهنك وانصافك واعتمادك على ترقية نفسك بنفسك ، يكون دائما النجاح حليفه ، والفلاح لزيمه .

زال عنك الشك ، وانقشع الضباب امام عينيك . فما كان الانسان ليدوم شكه فيما يشعر به شعورا لا مراء فيه ؛ ويحس به في ذاته وفي كل ما يحيط به من كل ما تجول فيه مدارك عقله وحواسه ، الا ريثما ينتبه اليه ، فاذا به حقيقة واقعة بلا ريب ، فان لم يلمسه بيده لمسا ، فانه يشعر به شعورا ؛ فان ارواحنا لا نلمسها بايدينا وانما نشعر بها ، ومع ذلك لا شك يعتورنا في انها موجودة في ابداننا وجودا محققا لا يقبل ادنى ريب . تملصت من التقليد ثم اعتمدت على نفسك فاستطعت ان تشق لنفسك طريقا لم يكن ليستطيع الاهتداء اليه اسرى التقليد ، والمصفدون بالاوهام والوساوس ، ممن يضيفهم غيرهم الى الفلسفة ظلما وبهتانا ، ومينا واعتسافا .

كنت تسدر في غلوائك ، فصدئت مرءاة فكرك ما صدئت ، فلما ملت اليها بالعمل المجد ، ومسحت صفحتها مسحة واحدة ، فاذا بها مشرقة مصقولة ، ترتسم فيها الحقائق كما هي غير مغلقة ولا مبهرجة .

تذوقت الشربة الاولى من كأس العمل والبحث ، فاذا بك تنسى مباهج الحياة، ومناغاة الغواني، وملذات السمر في اللهو ، فصرت تتنكر لمعاشريك ، وتود لو انهم ساروا في واد ، وتركوك في واد آخر ، وكذلك لذة المعارف ، وخمرة الوجدان ، فمن ذاقها يعلن للملا انه ما ذاق قط مثلها ؛ قال اليهوبوريت :

(اني لم اشعر في حياتي قط بسورة الفخر ، كما شعرت حين فهمت للمرة الاولى معاني الخمسة عشر بيتا الاولى من الياذة هوميروس) .

واما سؤالك الذي وجهته ، فساجيبك عنه بعد ان تدرس ما وصلت اليه ، تحت سماء ما يقوله علماء الارواح (اسبرتزم) ثم ان اعلنت الى النتيجة المتحصلة لك ، رجعنا الى موضوع سؤالك ، فلا تقتصر على امثال كلام (رينان) ومن ذكرتهم ، بل لا تكتفي ايضا بمدارسة ما عند (كانت) الالماني ونظرائه ، فان ذلك لا يكفي وحده ، بل احب منك ان تلم بما عند الذين يروجون دائما بابحاثهم فيما وراء المادة ، ويقولون انهم حصلوا بذلك على نتيجة هائلة . فقد اعلنوا ان هناك معنا عوالم عظيمة حية مدركة . استطاعوا ان يتحادثوا معها بواسطة من يصلحون للتوسط. وهذا المذهب الروحاني جديد في عالم الابحاث عند علماء الغرب الذين كانوا قبله كافرين بكل ما تقوله الاديان ، فلما وصلوا الى ما وصلوا اليه بابحاثهم واستقراءاتهم واكتشافاتهم ، رجعوا يحملون الى العالم معلومات عظيمة هزت الافكار هزا ، واقامت آلافا من علماء المادة واقعدتهم . فاكب كل واحد على البحث في ذلك على حدة ، ثم زاد العجب عند الناس هناك قاطبة، اعلانات متتابعة من الباحثين الجدد، بان تلك العوالم حقائق لا سبيل الى اي شك فيها . فهكذا صار غالب الماديين الذين جبلوا على الانصاف ، يتراجعون عن فكرتهم القديمة المؤسسة على ان لا موجود الا ما يحسون به فقط ، فهناك كائنات جديدة لا ترى ولا تلمس ، توجد ازاء المادة وجودا لا مراء فيه ، وهذه المباحث لم تبدأ الا من اواسط القرن التاسع عشر فقط ثم لم تنشب ان بلغت من اتساع ندواتها وكثرة مجلاتها اتساعا عظيما ، ومثلك الذي ذاق لذة البحث ، وصار يتطلب الكمال لنفسه ، وابى الا ان يستولي على المكانة التي تأهل لها ، لا ينبغي له وهو يدرس الموضوع الذي يدرسه ان يغفل دراسة هذا المذهب الذي يحكون عنه عجائب وغرائب ، يبعد في العقل ان تصدر كلها عن تمويه وتزييف وشعوذة ، ثم لا يغبن عنك ان مستقبل نتيجة دراستك المتقدمة ، متوقف على ما يتحصل لك من دراسة مذهب الروحانيين ، ثم اذا اعلنت لي عما حصلت عليه ، نرجع الى النظر حول سؤالك .

دمت للرقي والتفوق والنشاط في المباحث .

اخوك : (فلان)

بعد ايام قليلة توصلت منه بهذه الرسالة :

كنت احسبني في العالم ، وارى لي مقاما في صدور الرجال العقلاء ، ومكانة بين العلماء النبهاء ، حتى ادعيت امامك يوما ما عبقرية استطيع ان استبدل بها امة من حال الى حال ، الا انني الآن وقد صرت اضع بيدي ساعة قناعة على براهين كثيرة ، تدل على تراكم جهلي وعمه بصيرتي ، من اجل غرقي فيما يغرق فيه السادرون في الاهواء ، المتتبعون لمواقع اللذات ، اقدر ان اصرح بغير ما كنت اصرح به امس على الملا :

من اين كنت اعلم ان هناك عالما آخر غير ما تقع عليه الحواس ، ويتصل بحياتنا المادية ؟ فهل كنت قط على استعداد لاستماع هذه الافكار التي ما كنت اسمي

امثالها الا خرافات وشعوذة وحمقا كثيفا، لا يصيخ اليها الا النوكي والمستضعفون والاغبياء ؟ افانزل بنفسي الى الاصاخة اليها فضلا عن ان اعتقد فيها صحة ما ، فاتفرغ لدراستها دراسة تؤديني الى الاعتقاد بها ؟

واما اليوم فقد طارت تلك العبقرية شعاعا ، وتمثلت لي الحقائق ، فما اجهلني واغباني حين كنت اصعر خدي عن كل من اعلم منهم انهم يقولون بما وراء المادة .

حييت ايها البحث ، فانت حقا فتاح الابواب ، ومزيل الريب ، ومزحزح الغشاوة عن البصائر ، فلولا البحث لما ادركت امس ان لهذا العالم نواميس تديره عن تعقل وحكمة ، ولولا ثانيا لما خطوت هذه الخطوة الثانية التي وسعت دائرة علمي ، وجعلتني اطفح بنشوة الانتصار ، وخمرة المعارف .

كنت اظن ان راسي متوج بتاج العلوم كلها ، يوم توصلت بالدكتوراه ، كما كنت ارى انني حصلت على اعظم امنية واكمل لذة يوم اعطيت لنفسي كل سؤلها ، وكلت لها في آمالها ومستمتعاتها من مباهج الشهوات البدنية بالمكيال الاوفى ، الا انني اليوم ادركت مقدار غروري بتلك الدكتوراه ، التي ما جعلت ازائي الا دائرة غير واسعة ، كما ادركت ان اللذة التي هي اللذة ، لا توجد الا في البحوث الفاتحة امامك عوالم فعوالم ، فتنير امامك ما كان مظلما ، وتفتح ما كان دونه قبل موصدا ، وتزيل عنك غباوات الجهالات ، كذلك انا الآن يا سيدي، فقد اكببت على المذهب الروحاني وحضرت مجتمعات شتى لاربابه ، وافرغت جهدي في الاحتياطات كما كان يفعله قبلي كثيرون ، ثم خرجت بمثل النتيجة التي خرجوا بها ، كما طالعته في عبارات الجماء الغفير منهم .

اذن ، لم يكن العالم المادي وحده كل ما في الوجود، ولم يكن ابناء آدام وحدهم من الاحياء هم الذين يحتوي عليهم هذا الوجود ، فهناك عالم آخر يشعر كما يشعر بنو آدم ، يسمعون فيجيبون ، ومتى تقمصوا ذواتا من ذوات الوسطاء امامنا ، يأتون بمعلومات وعلوم وافكار واخبار غيبية تتحقق وتتيقن ان الوسيط منها صفر بطبيعته التي تعرفه بها ، هذا ما ادركته غاية الادراك في مجتمعات شتى حضرتها ، ثم كاد يكون هناك اجماع ممن يعتنون بهذه الناحية على هذه النتيجة .

لكن ، اهذه ارواح موتى من بني آدم حقا ؟ اوليس يمكن ان تكذب تلك الارواح في ادعائها ذلك ، كما ثبت كذبها في بعض ما تقوله على السنة الوسطاء ؟ اما نحن فلا يهمنا الآن الا الايقان بان هناك مخلوقات حية تشعر كشعورنا ، وتسبح في الاجواء وتمرح ، ولم تحبسها الاجساد امثالنا ، فبحسبنا هذا الآن ، وان كان العقل لا يزال يتطلع الى ماهية تلك الكائنات ، اعندك بها علم جديد يا سيدي فتكون علينا به من المتفضلين ؟ دمت للعلم والافادة لاخيك .

حماد

الجواب :

الآن استكملت الحلقة الاولى من دراستك حين ادركت شيئين اثنين : اولهما : كون هذا العالم له موجد ومدبر حكيم ، والثاني ان هناك عوالم اخرى لا ترى ، وان هناك كائنات اخرى لها مثل شعورنا ، وربما كان شعورها اوسع من شعورنا .

الآن يمكن لي ان اقول لك : ان في رسالتك الاولى بعض خلط بين مذهب الطبيعيين الذين لا يقولون الا بالمادة فقط ، وجعلوا لها موجدا من النواميس التي قالوا : انها توجد بالتسلسل شيئا من شيء ، واس مذهبهم قدم العالم ، ولا يكادون يقرون بموجد على الصفة الاتية، وبين مذهب الذين ادركوا ان للعالم موجدا هو الذي ابتدأ ايجاده من عدم، وهؤلاء هم الذين يقولون بالعالم الآخر الذي يسمونه عالم الارواح، فاداهم الاعتقاد بوجود الارواح الى عوالم اخرى زيادة على تلك الكائنات التي ذكرت انك اعتقدت وجودها وادركته ببحثك ، بل زادوا واقروا بحياة اخرى وراء هذه . ولا تنس ما كنت قلته لي يوما من انهم وقعوا في مثل ما فروا منه حين اعرضوا عن الاديان ، واخال انك ترمي الى كل هذا ، وان اردنا ان نعرف مذهبهم بنصه ، فلنسمع لما يقوله جول سيمون : (كل اصول مذهبنا هذا واضحة لا رموز فيها ، اما اصوله فهي الاعتقاد بوجود اله قادر على كل شيء ولا يفيره شييء ، خلق العوالم وحكمها بقوانين ونواميس عامة ، ووجود حياة اخرى تودي لتاكل وعود هذه الحياة ، وتكافيء المظالم بالجزاء الاوفى) .

واوضح منه ما قاله الفيلسوف كارو : (قواعد الديانة الطبيعية الاعتقاد بوجود اله مختار خلق الكائنات واعتنى بها ، وهو متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني ، ووجود روح في جسم الانسان متصفة بالذكاء والحرية ، وقد حبست في هذا الجسم المادي

امد لتبتلي فيه . وهذه الروح يمكنها بارادتها ان تطهر هذا الجسم وتنقيه اذا عرجت به نحو السماء ، كما يمكنها ان تسلفه باستئناسها بالمادة الصماء . والاعتقاد المطلق برفعة التعقل على الاحساس ، واعطاء الاخلاق الفاضلة اسمها الحقيقي وهو الامتحان والابتلاء ، وتحديدغرضها الحقيقي، وهو التخليص التدريجي للنفس من علائق الجسم، والتهيؤ لساعة الموت بالزهادة، واخيرا الاعتراف بقانون الترقي ، ولكن بدون فصل رقي الانسان في مدارج السعادة من العواطف الفاضلة التي هي وحدها تبرر تلك السعادة) .

فهذه هي ديانة الفلاسفة الذين ذكرت انك وصلت بدراستك الى ما وصلوا اليه ، فان وصلت حقا الى مذهبهم فينبغي لك ان تعبر منذ الآن على ما كنت تسميه اولا القوة الفاعلة ، ثم تركت تلك التسمية فسميته النواميس الطبيعية – وقد قلت ان الحامل لك هو ان تعبر كما يعبر اهل المذهب الذي اخترته – واذ ظهر لنا الآن منك انك على مذهب الروحانيين ، فاننا ننتظر منك ان لا تعبر بعد عن موجد هذا العالم الا بالله، كما يعبر به اهل مذهبك الذي اخترته وادتك نتيجة دراستك الى كونه هو الصحيح ، ثم لا باس ان تقول كما يقول هؤلاء : ان للعالم الاها اوجده وسيره بنواميس طبيعية ، فتكون نسبتك تسيير العالم الى الله نسبة حقيقية ، ثم نعرف بعد ان نوقن اعتقادك لذلك، في قولك ثانيا : ان العالم تسيره النواميس الطبيعية – ان قلت ذلك في تعبير آخر – ان قولك الثاني انما هو مجاز، وان التعبير الاول هو الحقيقة .

على انني انتظر منك جوابا : هل ارتضيت حقا كل ما ذكره اصحاب هذه الديانة الطبيعية ، او في عقيدتهم هذه ما لا يزال امامك محتاجا الى دراسة جديدة ؟ .

اكتب الي بعجل ، فان وقت المؤتمر قد اظل ، ونحن نريد ان نفرغ من هذه الابحاث قبل ان ندخل فيه لتكون كأسس مسلمة للابحاث التي نستقبلها .

بقيت في نهج التقدم الى الامام محفوفا بالسعادة والتوفيق ، مأمونا من العثرات والخطا

اخوك (فلان)

ولم انتظر الا ريثما ذهب البريد ، اذا بي توصلت بما يلي :

(في كل يوم تأتيني بجديد ، وتدس بين عباراتك ما اقف ازاءه وقفة حيرة جديدة ، كانك تستجرني عمدا من حيث لا اشعر الى غاية تقصد بي اليها ، وتنتهي بي كما تريد اليها على حالة تنويها مني .

ها انت ذا وضعت امامي ديانة جديدة بكل بنودها كانك تريد ان تغتنم فرصة ايقاني بوجود عالم آخر وراء المادة ، فتقلدني ذلك المذهب بكل ما تحتوي عليه بنوده برمتها .

مهلا عليك ، فانني لا ازال على شرطي ، فلا اقبل الا ما وصلت اليه دراستي ، وادرك كنهه عقلي ، فانني ابن القرن العشرين ، وربيب المدنية العجيبة التي لا تعرف الا العلم وحده ، فلا تتقدم ولا تميل ميمنة او ميسرة الا والعلم قائدها ، والفكر سائقها ، فهل تظن كل هذه الاختراعات والاكتشافات التي تدين لها المدنية ظهرت الا بالعلم الصحيح الذي يدرك الحقائق ولا يكتفي بالظواهر من الاشياء فقط ؟ فهل تطمع مني ان اتدين بدين لا اعرفه كله؟ نعم انني اعرف ان لهذا العالم موجدا حكيما عالما قادرا ، ولكن لم ادرك بعد انه متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني – كما في كلام كارو – كما لم ادرك ايضا الى الآن وجود حياة اخرى تؤدي لنا كل وعود هذه الحياة وتكافىء المظالم بالجزاء الاوفى – كما في كلام جول سيمون – نعم ان اطلاق الله على ذلك الموجد للكون لا بأس به ، لان العبارات المختلفة لا تغير الحقائق ، وانما هي اصطلاحات مختلفة . وللتنازل على ارادتك ، ولتكرمة المذهب الروحاني الذي اعجبت بمباحث الفلاسفة العظام الذين اسسوه، لا اطلق بعد اليوم على ذلك الموجد الا الله ، فليبارك الله في عقولنا التي هي وحدها امامنا وقدوتنا الى الرقي .

وبعد فاين جواب السؤال ، انسيته ام لا ازال دون المكانة التي تؤهلني لاستماعه ؟ فانه لمبحث لا يزال عقلي يحوم حوله ، فلا ادري كيف فعل هؤلاء الفلاسفة الطبيعيون الروحانيون ، حتى ادركوا ان الله متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني .

هذ وان ظهر لك ان تمر بي في طريقك الى المؤتمر ، لاقدم اليك احد اصحابي النبغاء ، فانه في شوق الى التعرف بك ، فأعلمني لاكون في انتظارك .

حماد

الجواب :

اتئد سدد الله خطاك ، ولا تتهم بهذه السرعة ذلك الطالع السعيد الذي اشرق في سمائك ، فحاول ان يميط عنك من الحجب والغياهب والجهالات ما كنت فيه قبل — كما ذكرت في رسالة من رسائلك ان العقل نور جعله الله للانسان لما اراد ان يجعل في يده مفتاح هذا العالم الذي ما خلقه الا له ، ولا يمتري ذولب في مقدار ما للعقل ، ولا فيما انتجه العقل فيما مضى او سينتجه في المستقبل ، فالعقل منبع العلم الذي يسير الحضارة ويطير بها شيئا فشيئا الى عليين .

هذا كله مما اجمع عليه العقلاء ، وتضافر على الاشادة به العلماء ، الا ان هذا العقل لا يزيد على الطبيعة التي جبل عليها ، فانما هو كالبصر والسمع ، فانهما وان امتدا ما امتدا ، لابد ان يكون لهما حد ، فقدر الان ان المجاهر وغيرها من النظارات المقربة او المكبرة يزداد تحسين العلم لها الى ما قدرت ولكن الا يكون لمدى البصر بعد ذلك كله حد محدود، وان بلغ بنظارات المراصد مابلغ؟ بلى ، فلابد ان يصل حدا لا يتجاوزه ، فكذلك العقل ، فان له محيطا اوسع من جميع الحواس سعة عظيمة ، ربما يؤتى الى الانسان بديهة انها لا تنتهي الى مدى ، والواقع لمن تأمل ادنى تامل ان له حدا ينتهي اليه ولا يتجاوزه ، وفي انفسكم افلا تبصرون ؟ ، فما هو روحك؟ وما هي حقيقة بصرك ؟ وما هو كنه سمعك ؟ وما الذي يضمره لك الغد ؟ وما الذي يتناجى به جليسك ان رايته غفل لحظة عن الاستماع اليك ؟ فمن اين اقبلت الى هذه الحياة التي انت فيها الآن ؟ أم الى اين انت متوجه بعد الموت ؟ فقد يقول متعنت ملحد : انني كما اقبلت من العدم اتوجه بعد الموت الى العدم ايضا ، فنقول له ما هو العدم نفسه ؟ بل ما هي حقيقة الوجود ؟ فما اقصر واضال مجالات العقل ان قيست بما لا يمكن ان يجول فيه العقل ، وليس بالعاقل المتبصر المتأمل الحصيف ، من لا يجعل هذا من البديهيات عنده ، فلا يطلق في كل شيء دعوى عريضة فيزعم انه سيسبره بمقياس عقله ، فان الله ما فتح للعقل الا جانبا من ظواهر بعض الاشياء فقط ، وزوى عنه جوانب اخرى اعظم واوسع من حقائقها ، فهذه الكهرباء وهي اعظم ما اكتشفه الانسان بعلمه فارتقب بها الحضارة ، لم يعلم العقل الا مظاهرها فقط ، فهل يعرف (ماركوني) و (اديسون) وكل علماء الكهرباء من كنهها شيئا؟ وهل ادرك (فرادي) الانكليزي مكتشف المبدا الاساسي من المحرك الكهربائي من كنهها ولو لمحة الحقيقة ؟ ان الكل ازاء حقيقة الكهرباء من الجاهلين .

اكتشف (غليليو) القوة التي تنتج عن المعادلة بين قوة الجرم المدفوع وبين قوة المدفوع به ، ولكن هل كان يدرك عقله الجبار الذي ربما كان وحده في صفاء الذهن، في القرن السابع عشر ، كنه تلك القوة ؟ فقد اعترف هو نفسه بانه لا يدري شيئا من طبيعة القوة امام الناس .

وكذلك مكتشفو الاصول التي تتركب منها المادة كالهدروجين والازوت والاوكسيجين وهي تزيد عندهم على التسعين ، هل ادركوا حقائق هذه الاصول ؟ وهل ادرك مكتشفو ما في نور الشمس من الاطياف المختلفة — ما يمكن منها ان يرى وما لا يمكن ان يرى — ما هي تلك الاطياف ؟ وهل ادرك من يقولون ان الذرة هي الاصل الاصيل لكل المخلوقات المدروسة ما هو كنه قلب الذرة ؟ وهل ادرك (نيوتن) الانكليزي ما هي الجاذبية التي علل بها انتظام المجموعة الشمسية وغيرها من المجموعات الاخرى ؟

الجواب الحقيقي هو انهم كلهم لا يجيبون الا بمثل ما قاله غليليو ، فان كان هذا فيما ادرك العقل بعلمه منه بعض الظواهر ، فماذا ترى فيما لا تزال ظواهره تستعصي عليه الى الآن، فان كل الخطا التي يخطوها العلماء الباحثون لا تزيدهم الا الاقتناع بانهم ازاء عوالم عظيمة مجهولة منهم ، لا يكون ما يدركون منه بعض الظواهر ، الا كهباءة صغيرة ازاء السماوات والارضين .

قلت بكل حماسة : انني لا اقبل الا ما وصل الى كنهه ادراكي ، وفهمه عقلي ، فانني ابن القرن العشرين وربيب المدنية العجيبة التي لا تعرف الا العلم وحده ، الذي يستجلي الحقائق ويدركها ولا يكتفي بالظواهر فقط قلت هذا واطلقته اطلاقا ، ولكن ايتناسب قولك هذا مع اقوال الفلاسفة المنصفين غير المغترين من ابناء القرن العشرين وممن ربتهم المدنية العجيبة ؟ فقد قال (هوبرت سبنسر) الفيلسوف الانكليزي الذائع الصيت غير ما قلت ، حين حلل العلم الانساني فاحاله الى درجة العجز المطلق ، امام ادراك كنه اصغر ذرة من ذرات الوجود ، وقرر انه لا يمكننا في الالمام باشياء الوجود الا ادراك علاقات بعضها ببعض ، وصفاتها الخارجية عن كياناتها وكنهها .

وقال ايضا الاستاذ (ايزوليه) الفرنسي : ان علومنا هي الجهل المرتب . وقال بعض البحاثين الامريكانيين : اننا كلما تقدمنا خطوة في اكتشاف او اختراع ، نزداد يقينا بجهلنا الكثيف ، وعجزنا الواسع

عن ادراك الحقائق كلها ، وعن ادراك الكثير من غالب ما يحيط بنا . او بعد هذه الاقوال وعشرات امثالها التي لا يزال المنصفون غير المفترين يعلنونها فى كل فرصة، يريد الانسان ان لا يقبل شيئا وان كان يشعر بوجوده ، ويحس به ، وتدله تجاربيه على انه فى دائرة الوجود ، الا اذا ادركه بالعقل وعرف حقيقته ، وان كانت فوق مدى العقل ، وابعد من مجالاته المحدودة . كلا كلا ، فان الفلسفة العصرية تقبل الحقائق التي تشعر بها وتحس بها ، قبلها العقل ام لا ، فقد قال بعض العلماء الذين لا يخضعون الا للفلسفة العملية فى كلام له حول الاسلوب العلمي العصري وهو يذكر نتائج تطبيقه :

(كانت الفلسفة المدرسية فى العصور الوسطى ذهنية ، واما العلم الحديث فتجريبي . كانت الاولى تسجد للعقل البشري المتحرك فى دائرة من قيود التسليم باقوال الائمة ، واما الثاني فلا يسلم الا بالحقائق قبلها العقل ام لم يقبلها) .

اسمعت الآن ما عليه اهل القرن العشرين ، والذين تربوا فى المدنية العجيبة ؟ فهل يتفق كل هذا وما يدل عليه كلامك وانت تطلقه اطلاقا ؟

لا ريب انك متى سمعت بان غالب اهل القرون الوسطى ما كانوا يذهبون فى الارض الا على انها مسطحة، تقهقه من عقولهم، وتنسبهم الى الغواية والضلال والجهل العميق، ولكنك ان تأملت فانك تعذرهم، لانهم ما تمشوا الا على طريقتك هذه ، واليك البيان :

(كان بعضهم مرة فى مجمع من اهل عصره ، فذكر ان الارض كرة ، فقاومه من حضر ، وقالوا كيف يمكن ان تكون كرة مع ان من يسكن فى البقعة المقابلة لما نحن فيها — على مذهبك — لا يسقط ، افتجيز عقولنا وتتصور ان نكون معلقين بارجلنا ؟) .

ارأيت كيف وقف هؤلاء مع ما يتعقلونه ؟ اكانوا اذ ذاك ادركوا الجاذبية التي ما اكتشفها نيوتن الا بعد ذلك — ان كانت الجاذبية حقا هي الناموس الذي جعله الله تعالى لامساك السموات والارض — وهل كان العقل يدرك — ولا يزال الحال الى الآن — وقوف انسان فى بقعة من الكرة الارضية ، ووقوف آخر فيما يقابلها من اوجه الآخر ، ثم لا يحكم بعدم سقوط احدهما الى صوب رجليه ، ما لم يكن يتخيل مثل ما يقوله نيوتن ؟ ولا يعلم الا الله كم ادراكات نظن الآن اننا فيها على الحق اتباعا لما تدركه عقولنا ، ثم ينكشف الغد عن كونها غلطا عظيما منا ، لان العقل قد يلم به الغلط كما قد يلم بالحواس .

فالحق كل الحق ان العقل له حد محدود تنتهي اليه مداركه ، ولهذا اقول لك الآن ، وقد آن ان اقول لك : ان الله الذي اوجد هذا العالم لا يمكن ادراكه البتة، فكما استعصى على الحواس استعصى ايضا على العقول ، وقد اختبط فى ادعاء ادراكه كثيرون ممن قبلك فصاروا يظنون ظنونا ويتخرصون تخرصا ، ثم انكشف الواقع عن انهم فى غفلة من جهالتهم يعمهون . فان كنا نحكم بعجزنا عن ادراك ما بين جنبينا من الحقائق ، كحقيقة الروح وغيره ، فكيف لا نعجز عن ادراك حقيقة الله الذي نشعر انه ليس كمثلنا ولا كمثل اي شيء من مخلوقاته ، ضرورة انه لو كان يماثل العالم وما فيه ، لكان لابد ان يجري عليه ما يجري على العالم من التغير ومن الفناء والافتقار الى غيره، لان من البديهيات ان المثل لابد ان يجري عليه ما يجري على مماثله ، فتأمل فى هذا حق التأمل، وتبصر واتئد وابتعد عن ميدان الغرور الذي لا يتولد مكروبه الا من حمأة الجهل ، ولهذا ذهب الفلاسفة الروحانيون كما ترى ، الى ان الله متميز عن العوالم الكونية وعن النوع الانساني فما دمت تحكم لهؤلاء الفلاسفة بان لهم عقول الجبابرة حتى اعجبت بهم ، فلا ينبغي لك ان تلقى ما اجمعوا عليه من اول وهلة ، بل تضعه فى الميزان وتستوعب ما فى طوقك من الامعان ، فانك ستهتدي الى الحق ان شاء الله ، فان مثلك الباحث عن الحق حاشا ان يخيب سعيه ويخطىء سهمه ، وانما صولة الباطل فى غفلة الحق عنه

وما قلناه فى تنزيه الله عن مشابهة العالم نقول مثله فيما ذهب اليه الروحانيون من وجود حياة اخرى تظهر فيها نتيجة هذه الحياة الاولى ، فان هذه الحياة الزاخرة بالآلام والاحزان والامراض والاصطدامات ، لا يمكن ان تكون نهاية ما تساق اليه كل هذه العوالم التي خلقت الا للانسان وحده ، زيادة على ما يحس به الانسان من نفسه من التطاول الى الكمال دائما — على حين انه لا كمال فى هذه الحياة — وتطلب الكمال شعور عام لا يخلو منه الجهال واصحاب الرذائل ، متى انفكوا من تأثير بيئة الرذيلة ، فضلا عن العلماء واصحاب الفضيلة ، بل ان كل انسان كيفما كان لا يربغ فى كل آماله وامنياته وافعاله — وان كانت مسفة — الا هذا الكمال ، حتى اللصوص والمستهترون باللذة والمتعة ومباهج هذه الدنيا . وانما غلطوا فى باب الكمال وفى

تصوره فصاروا يعتسفون . ولهذا لا يزال كل من يتخبط في الرذائل يحس فينة بعد فينة بدافع باطنه الى تطلب الكمال من طريقه الحقيقي . طريق الفضيلة والاستقامة . ثم لا ينشب لضعفه ان يجره السيل ثانيا الى ما تدفعه اليه بيئته . وليست له قوة دافعة ولا خلق مكين . يدرأ عنه ويكون دونه سياجا .

اذا كان الامر هكذا ـ وهو الذي يدل عليه المذهب الروحاني الذي سلك بلا ريب هذه النظرية ـ فكيف يستبعد انتظار حياة جديدة تكون هي المقصودة من اول وهلة بما فطر عليه الانسان من حب الكمال . فيكون الكمال كما هوالكمال فيها. وزد على هذا ان ما يستنتجه العقل من مجموع نظراته في هذا العالم . كونه مؤسسا على الحكمة . والحكمة لا تسير الا مع العدل . ومتى نظر المرء الى ما يقع كثيرا في هذه الدار من الانسان الذي يحمله غروره على ان يخرج عن محجة العدل ، فظلم المستضعفين . ويدوس باقدام قوته على بطون اخوانه وبني جلدته . ثم يخرج من هذه الحياة وهو لا يزال على هذا الظلم من غير ان يسيطر عليه قانون ؛ فانه يتبادر الى ذهنه ان هناك حياة اخرى يجري فيها القانون مجراه اتباعا لنواميس العالم . ونزولا عند الذي تكون بديهة عند كل عاقل . أفيتلاعب الجبابرة بالمستضعفين ثم يمضون من غير مؤاخذة اصلا ؟ ايمكن هذا في العقل ؟ فان كان هذا صحيحا فالعالم حينئذ ليس مؤسسا على الحكمة التي يزعم العقل انه ادركها من كل حركاته .

وكذلك متى نظر العاقل ايضا الى الذين سلكوا طريق الفضيلة . وحافظوا على الاستقامة في كل حياتهم هذه . وهم يلاقون في ذلك ما يلاقون . فصابروا حتى لفظوا نفسهم الاخير . فخرجوا من هذه الحياة من غير ان ينالوا جزاء عملهم . فانه كذلك يتبادر الى بصيرته ان هناك حياة اخرى فيها جزاء للمحسنين .

لا تشك ان اولئك الفلاسفة سلكوا هذه المحجة البيضاء حتى استنتجوا ما اعلنوه في بنود دياناتهم التي اعتنقوها . فحكموا بان هناك حياة اخرى تؤدي كل وعود هذه الحياة . وتكافىء المظالم بالجزاء الاوفى .

فالآن يا اخي حماد امعن في كل هذا امعانا ، وتبصر تبصر من لا يتهم غيره بالسذاجة والغباوة . بل تبصر من يقدر غيره قدره من غير ان يقلده . ولا ان يحاول ان يتبعه اتباع الاعمى . فابحث . فالحقيقة بنت البحث . واستعن بشعورك واحساسك . كما تستعين بعقلك وبعلمك وبتجاريبك في الخمس والاربعين سنة التي قطعتها شوطا شوطا . ولعلك تهتدي كما اهتدى فلاسفتك الروحانيون . ولا تنس ان تراجع كل ما يقوله الروحانيون عن تلك الارواح . فان في كثير من ذلك القصص تعرضا لمدى العقل وللحياة الاخرى فالله يسددك وياخذ بيدك الى سواء السبيل .

وكن في انتظاري فانني اليك لفي اشواق . وسلم مني سلفا على ذلك النابغة .

اخوك (فلان) — يتبع —



مكناس : اطلال من قصر الملك مولاي اسماعيل العلوي (القرن السابع والثامن عشر) بناء ضخم وسواري ثقيلة تشهد باهمية البناءات التي شيدها هذا الملك العظيم .



للاستاذ
عبد الله كنون

لا ادري اين قرات لاحد الكتاب المسلمين محادثة جرت بينه وبين جماعة من الشباب المسيحيين في اوربا حول الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، وكان مما تضمنته تلك المحادثة سؤال احدى الفتيات له عن الكلمة التي يمكن ان يعبر بها عن الهدف الاسمى للاسلام كدعوة خلقية ، وتقابل الكلمة التي يعبر بها في المسيحية عن ذلك الهدف وهي كلمة المحبة ، اذ يقال في المسيحية انها دين المحبة ويقول الذي لا اذكر اسمه ، انه فوجيء بهذا السؤال اولا ثم فكر واجاب بكلمتين ، اظنهما : العدل والاخاء .

وليعذرني حضرته اذا لم استوعب كلامه ، فاني لم اهتم بالموضوع اولا ، كما حصل له تماما ، ثم فكرت فيه بعد ذلك فرايته من الاهمية بمكان .

واني لو سئلت هذا السؤال لاجبت عنه بما يخالف جوابه شكلا وموضوعا ، اما من ناحية الشكل فان المطلوب هو كلمة واحدة تعبر عن الفكرة الاسلامية في هذا الصدد ، وتقابل الكلمة التي تعبر عن الفكرة المسيحية فيه وهي واحدة ، على حين ان هذا الجواب يشتمل على كلمتين اثنتين .

واما من ناحية الموضوع فان المسؤول عنه هو السمة الخلقية التي تغلب على الدعوة الاسلامية ، وهذا الذي ذكره هو جواب عن الاتجاه السياسي للاسلام ، الذي نستطيع ان نعبر عنه بكلمة واحدة هي ادل على المراد من الكلمتين معا ، الا وهي (السلام) . فالاسلام من هذه الناحية هو دين السلام ، وعلى كل حال فليس ذلك بالجواب الذي يطابق السؤال لفظا ومعنى ، ويصح ان يقال انه الشعار الخلقي للمسلمين ، كما يقال ان المحبة هي الشعار الخلقي للمسيحيين .

والجواب الصحيح في نظري هو الرحمة ، فمن اراد ان يعرف الاسلام تعريفا خلقيا فليقل : انه دين الرحمة :

الم يبعث الله رسوله رحمة للعالمين ؟

الم يفتتح كتابه بالبسملة وهي اربع كلمات اثنان منها هما : الرحمن الرحيم ؟

بلى : وان في احاديث الرسول وآيات الكتاب العزيز لمجالا رحبا وذيلا سحبا لمن اراد ان يفيض الكلام في هذا الموضوع الخصب .

فالرسول (ص) يقول ان الله تعالى لما خلق الخلق كتب على نفسه : **رحمتي تغلب غضبي** . والكتاب العزيز يقول تصديقا لذلك : **« ورحمتي وسعت كل شيء »** . ثم انك لا تقرا سورة من سور القرآن الا وكانت البسملة اول ما تقرا فيها ، عدا براءة ، التي نزلت بالسيف ، بل هذه الفاتحة لا تقرا (بسم الله الرحمن الرحيم) اولها حتى تجد هذين الوصفين الكريمين ، هما ثاني آية منها، فالحمد لله رب العالمين تليها مباشرة : الرحمن الرحيم .

ويتكرر وصفه تعالى بالرحمة في غير ما آية من الذكر الحكيم ، ولعل ارجى آية في القرآن هي كما يقول بعض العلماء قوله تعالى: **«قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم »** .

ولا يخفى ان دلالة هذه الآيات الكريمة هي تعظيم شان الرحمة والحض على التخلق بها ، لانها وصف الله عز وجل الذي يطمع جميع الخلق في ان يعاملهم به ، لينجوا من العذاب ، والا فلا نجاة لاحد ، لانهم جميعا مذنبون خطاؤون ، ولا يقوم احسان احد باساءته ولا عمله بتقصيره ابدا ومن ثم كان دخول الجنة للطائع والعاصي معا برحمة الله ، وتتفاوت المراتب فيها بالاعمال .

ويرشد الرسول (ص) الى هذا المعنى من ان التخلق بالرحمة هو السبيل الوحيد للحصول عليها ، فيقول : **من لا يرحم لا يرحم** ، ويقول : **ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء**

ولا تخص دعوة الاسلام الرحمة بطبقة من الناس، بل تعم الجميع . وتشمل الحيوانات ايضا ، فعن عمر (ض) قدم على النبي (ص) سبي . فاذا امراة تحلب ثديها ; تسقي ; اذا وجدت صبيا في السبي ، اخذته فالصقته ببطنها ، وارضعته . فقال لنا النبي (ص) اترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ فقلنا : لا ; وهي تقدر على ان لا تطرحه. فقال : الله ارحم بعباده من هذه بولدها .

وروي عنه (ص) انه قال : بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش . فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج . فاذا كلب يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفه ثم امسكه بفيه فسقى الكلب . فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا يا رسول الله وان لنا في البهائم اجرا ؟ فقال : في كل ذات كبد رطبة اجر . وروي ايضا انه قال : دخلت امراة النار في هرة ، حبستها فلا هي اطعمتها وسقتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض .

فهذا رجل جوزي بسبب كلب رحمه ، وهذه امراة عوقبت بسبب عدم رحمتها للهرة ، فالمدار على الرحمة وجودا وعدما .

ولعل هذا كله لا يبين المدى البعيد الذي تصل اليه الرحمة الالهية كما يبينها حديث شريف يذكر ما اعده الله في خزائنه لعباده من هذا الكنز الثمين ، وانه لحكم على طبيعة هذه الدعوة الاسلامية بانها للرحمة اولا واخيرا . وهذا الحديث هو قوله (ص) جعل الله الرحمة في مائة جزء ، فامسك عنده تسعة وتسعين جزا ، وانزل في الارض جزا واحدا . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه .

وبعد فما هي نسبة المحبة من الرحمة ، او ما هو الفرق بين الشعارين ان كان لا بد من اعتبار الفارق بينهما ؟

لا شك ان الرحمة اعم من المحبة، فانت ترحم وان لم تحب . وبذلك يكون الشعار الاسلامي اكثر انسجاما مع دعوته التي هي دعوة عامة لجميع الخلق . بخلاف الشعار المسيحي الذي لا يمكن ان يطبق الا على من يستطيع الانسان ان يحبهم ، بعبارة اخرى ان الاسلام لم يهمل المحبة . كيف وقد قال نبيه (ص) لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه . ولكنه دعا الى الرحمة اكثر مما دعا الى المحبة ، علما بان الرحمة ادنى منالا من البشر واعم مفعولا ، ولانها ايضا هي المراد من المحبة ، لا المحبة ذاتها ، فقد تنحرف المحبة عن سبيلها ، ولا تؤتي الثمرة المطلوبة التي هي الرحمة ، كما وقع لذلك الجن الذي احرق محبوبه واتخذ من رماده كأسا كان يشرب بها ، ويغني ما قاله من الشعر في ذلك المحبوب .

ولعل هذا المثال هو اقرب ما يكون من محبة بعض الامم المسيحية لاخوانهم في الانسانية بل وفي الدين ! ويرحم الله شوقي اذ يقول في هذا المعنى :

(عيسى) سبيلك رحمة ومحبة
في العالمين وعصمة وسلام

ما كنت سفاك الدماء ولا امرا
هان الضعاف عليه والايتام

يا حامل الآلام عن هذا الورى
كثرت عليه باسمك الآلام

انت الذي جعل العباد جميعهم
رحما ، وباسمك تقطع الارحام

العوامل والمؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالي

للاستاذ السيد ابي الأعلى المودودي
تعريب الاستاذ : محمد عاصم الحداد

مما يعرفه الجميع ان زمام الامامة الفكرية والزعامة العملية في العالم كان في الزمن القريب ولا يزال بايدي أهل الغرب . فمن النتائج الطبيعية لذلك ان معظم مسائلنا اليوم في حقول الاجتماع والسياسة والاقتصاد، كذلك كل ما يواجهنا فيها من المعضلات والمشكلات ، وليدة للاحوال والظروف التي احاطت بالحياة الغربية وسببت فيها هذه المسائل والمشكلات . ومن التأثير الفطري ، كذلك ، لهذه الزعامة ان الاغلبية العظيمة من اهل الفكر والروية فينا لا يلتمسون الصواب الا في اتباع اهل الغرب ، ولا يرون الرشد لانفسهم الا في تلك الصور بعينها التي قدمها المفكرون في الغرب لحل هذه المسائل . فلأجل ذلك كله لا بد لنا ، قبل كل شيء ، ان ننظر فيما وراء المسائل العمرانية الحاضرة من العوامل التاريخية ، وان ننظر ، في الوقت نفسه ، في منشأ ما يقترح ويختار اليوم من مختلف الصور لحل هذه المسائل ، وان نبحث عن الاركان التي تستند عليها تلك الحلول والمقترحات ؛ فان هذا البيان التاريخي سيساعدنا في فهم المباحث التي نريد الكلام عليها بصدد موضوعنا هذا .

*

نظام الاقطاعية (Feudal System)

لما تقوض نظام الامبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس للميلاد ، انهار في اوروبا صرح الوحدة العمرانية والسياسية والاقتصادية ، وانفصمت الآصرة التي كانت تربط بين مختلف الاقطار والشعوب ، وتقوضت تلك الادارة التي كانت تجعل هذه الرابطة ممكنة ، وان بقي في اذهان رجال الغرب — ولا شك — اثر للقانون الروماني والسلطة الرومانية العالمية وافكار الرومان السياسية ، مما لا تزال له بقية حتى يومنا هذا . ولكنه لما افلت شمس الامبراطورية الرومانية انقسمت بلاد اوروبا قطعا صغيرة وتجزأ كل قطر جغرافي الى اجزاء متعددة ، ولم تقدر طائفة من المنتمين الى سلالة واحدة او الناطقين بلغة واحدة ان يؤسسوا وحدة لانفسهم في بقعة ما من بقاع الارض. وما زالت عملية التجزئة تعمل عملها حتى تفككت المملكة الى اجزاء صغيرة استولى عليها وتمكن من سياستها والحكم فيها الرؤساء والاقطاعيون المحليون . وهكذا ابتدأ في اوروبا ذلك النظام الخاص للحياة الذي يصطلح عليه بـ « نظام الاقطاعية » Feudal System وفيما يلي نذكر الخصائص التي نشأت مع هذا النظام ثم اخذت في الرسوخ فيه فيما بعد .

1 — تقررت حيازة الارض اساسا لغلبة الانسان وعلو كلمته ، واختصت القوة والسلطة والسيادة والشرف والحقوق الدائمة بالذين كانوا يحافظون على الامن في ذلك الجزء ، وهم الذين كانوا يتمتعون بالصلة بالاقطاعي او الملك ، وهم الذين كان يقضي ايام الحياة في كنفهم من كان لا يمت الى طبقة ملاك الاراضي ، سواء اكانوا مزارعين ام من اهل الحرف والتجارة ، فكانهم

جميعا رعية لملاك الاراضي هؤلاء . ثم كانت في هـذه الرعية ايضا طبقات عديدة بين الرفيع والوضيع . فهكذا تأصل في المجتمع التقسيم بين الطبقات ، ثم قام على اساس ذلك التقسيم التمايز والتفارق في المراتب والاعتبارات والحقوق ، فاصبح مثل المجتمع في نظام الاقطاعية كمثل المصعد : الجالس على كل سلم من سلالمه اله لمن تحته وعبد لمن فوقه ، وعلى راسهم جميعا اسرة الوالي ، وتحت اقدامهم عامة المساكين الذين ما يقدرون على ان يسوقوا احد بعصا الظلم والقهر .

2 ـ والكنيسة المسيحية ـ التي كانت تنطق باسم الالاه وتخاطب الناس على لسانه من غير أن يكون عندها ، في حقيقة الامر ، قانون الهي او مبادىء للارشاد محكمة ـ كانت حديثة العهد في اوربا في ذلك الزمن ، فمدت يد الموالاة والمساعدة الى النظام الاقطاعي الناشىء وظلت تزود ، بمستند ديني ، جميع المنظمات والحقوق والامتيازات والقيود التقليدية التي نشأت مع ذلك النظام ، وما فتئت تتغلغل في المجتمع . فكل فكرة، اذا قدم عليها العهد ، اصبحت عقيدة للكنيسة ، واصبح من الكفر والضلال التجرؤ على التفكير في شيء يخالفها وكذلك أصبحت كل عادة اذا تأصلت في المجتمع مرة ، شريعة لا معنى للانحراف عنها الا الانحراف عن الله ودينه . وكل ما لنا من الادب والفلسفة او نظم الاجتماع والسياسة والاقتصاد بشكل خاص في نظام الاقطاعية ، قضت الكنيسة ان الله هو الذي وضعه على ذلك الشكل . ولاجل ذلك اصبحت كل محاولة لتغييره لا تعتبر جريمة من الجرائم فحسب ، بل محظورا دينيا ايضا .

3 ـ ولما لم تكن هناك ادارة او سلطة مركزية تعنى بانشاء الطرق والشوارع الكبيرة وتتعهدها بالاصلاح واقامة الامن والراحة لابناء السبيل : انقطع الناس عن الاسفار الطويلة والتجارة الواسعة ، وانكمشت التجارات والصناعات وكذلك العقليات في الاجزاء الجغرافية الصغيرة التي رسم حدودها الاقطاعيون وسلطتهم .

4 ـ انفردت كل طائفة من الناس بفرع من التجارة والصناعة . فما كان احد ليقدر ان يخرج من مهنة طائفته التي ينتمي اليها ولا ان يدخل احد غيره في مهنتها . بل ابت كل طائفة الا ان تحد مهنتها لنفسها وتخصها بافرادها دون غيرهم . فكانت البضائع تنتج للحاجات المحلية المؤقتة وتستهلك في الاقطار المجاورة وكثيرا ما كانت تتبادل بالغلات والحبوب . فهذه الاسباب المختلفة اوصدت في وجه الناس ابواب الرقي والاتساع والاختراع والاصلاح لفني وجمع الاموال .

فهذه المفاسد التي تولدت مع سقوط الامبراطورية الرومانية وانهيار صرحها ، لم تتمكن الامبراطورية الرومانية المقدسة من ازالتها . فمهما يكن البابا والقيصر قد نجحا في تزويد البلاد الاوربية من جديد باصرة الوحدة من الوجهة الروحانية والمعنوية ، ومن الوجهة السياسية ايضا الى حد ما ، فانه لم يتغير ما اختارته المعيشة والمدنية والاقتصاد من الاشكال لنفسها في نظام الاقطاعية بل رسخ وقام على اسس متينة حتى اصبح الناس يفكرون في صورة غير هذه الصورة لنظام حياتهم .

*

البعث (Renaissance)

ليس من غرضنا ، ههنا ، ان نبحث في الاسباب والعوامل التي افضت الى تفكك عرا هذا الجمود ، في اوروبا ، وقيام تلك الحركة الشاملة التي تعرف «بالبعث Renaissance » ولا كيف تم ذلك ، الا انه لابد من الاشارة اليه ولو بكلمة عابرة . وجملة القول أن استيلاء المسلمين على اسبانيا وصقلية في جانب ، والحروب الصليبية المتتابعة في الجانب الآخر ، هيأ لاهل الغرب فرص الاتصال بالامم التي كانت رافعة بيدها راية الحضارة والثقافة في ذلك الزمان . ولا جرم ان ما كان على أعين اهل الغرب من غشاوة التعصب من جراء تأثير الكنيسة في قلوبهم ، قد حال دون التفاتهم الى معين الاسلام مباشرة ، الا ان ما تيسر لهم من الاتصال بالمسلمين ومشاهدة احوالهم عن كثب ، قد نفعهم من

حيث ظفروا بثروة واسعة من الآراء والافكار والطرق الراقية ، وهي التي مهدت لهم ان يدخلوا دورا جديدا في حياتهم . ولقد كان ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر للميلاد فترة انتقال من العصر المتوسط الى العصر الجديد من تاريخ اوربا ، فقد انتعشت في ذلك الزمان ، كل ناحية من نواحي الحياة الغربية من جراء المؤثرات التي كانت ترد الى بلادهم من الخارج . من ذلك انهم اخذوا يزدادون معرفة بعلوم الطبيعة والطب والهندسة والرياضة وما اليها من فروع المعارف الاخرى ، وساعدهم اختراع المطابع مساعدة عظيمة في نشر الافكاروالعلوم. ومما استلزمته هذه اليقظة العلمية ان بدات في كل شعبة من شعب الحياة سلسلة الاصلاح والانتقاد ونفخت المعرفة بالفنون الجديدة روحا جديدا في الصناعة والزراعة والتجارة وفي سائر نواحي المدنية عامة . ثم بدات افكار اهل الغرب وانظارهم تتسع بالاكتشافات الجغرافية الحديثة . وكذلك قامت لهم ، في البلاد البعيدة الاخرى ، اسواق امكنهم ان يبعثوا اليها ويستهلكوا فيها منتجات بلادهم وموادها الخام ويشتروا منها منتجات البلاد الاخرى وموادها الخام. فبهذه الفرص بدات تنفق من جديد سوق التجارة وقد كانت كاسدة منذ قرون . وعلى رغم ما كان في وجوه التجار من الصعوبات والعقبات اخذت تجارتهم تنتشر في داخل اوربا وفي خارجها وما زالت تعمر وتتسع المدن على ملتقى الطرق التجارية الكبرى وبدا يتدرج مركز الثروة والقوة والذكاء والثقافة والمدنية في التحول عن مجال الولايات والاقطاعات الرئيسية الى تلك المدن الكبيرة التي صارت، او كادت ، مركزا التجارة والصناعة والحركة العلمية والادبية الجديدة .

وهذه الحركة الجديدة كان زعماؤها ورافعوا لوائها رجالا من طبقة البورجوازية (Bourgeois) (اي التجار والمرابون واهل الحرف والصناعات) الذين انتفعوا من فرص الرقي هذه وكانوا يسكنون المدن والحواضر ويختلفون الى الخارج ، او كانوا اول المواجهين لتيار الثروة الواردة على بلادهم من الخارج على الاقل ، وكان ان احدث هذا فيهم نزوعا شديدا الى التغيير والرقي . ولكن القيود الفكرية والخلقية والدنية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي كانت قائمة في البلاد بموالاة الكنيسة للاقطاعيين ومساندتها لهم ، اصبحت عقبة كاداء في سبيل نهوض هؤلاء وتقدمهم في كل جانب . ففي كل ناحية من نواحي الحياة ارادوا ان يخطوا خطوة خارج الدوائر القائمة الجامدة منذ قرون، قام في وجوههم البابوات والاقطاعيون وسدوا عليهم طرقهم . ومن هنا شجرت بين الفريقين مشاكسة شديدة ونشبت حرب شاملة في كل ميدان من ميادين الحياة الاجتماعية . ففي ميدان العلم والادب تحدي الاستبداد العقلي الذي فرضته عليهم الكنيسة ومجدت حرية الراي والتحقيق . وفي ميدان المدنية والسياسة والاقتصاد تحديت سلطة الاقطاعيين وجبروتهم ورفع الصوت باستنكار جميع الامتيازات والفوارق التي كانت قائمة في ظل الاقطاعية في ذلك الزمان . وما زالت هذه المحاربة والمشاكسة تنتهي شيئا فشيئا الى انكسار النظام القديم وتقدم هذه القوى الناشئة الجديدة وعلو شانها حتى آل الامر في القرن السادس عشر الى ان بدات الاقطاعيات الصغيرة في مختلف بلاد اوربا تنقرض وتنضم الى الولايات القومية الكبيرة . وكذلك تقلص ظل سلطة البابا الروحية وتجردت القلوب من هولها وشرع حكام الولايات القومية اللادينيون في مصادرة املاك الكنيسة وبدات الشعوب المختلفة تعرض عن النظام الديني العالمي وتؤسس لنفسها كنائس قومية مستقلة كانت خاضعة للولايات القومية ولم تكن في حال من القوة تجعلها منافسة ومنازعة او محالفة مساندة لها . فهكذا ، مع انكسار غلبة الكنيسة والاقطاعيين المشتركة وتفكك قيودها ، ظلت طبقة « البورجوازية » تتحرر مما كان النظام القديم القى في سبيلها من العقبات الاجتماعية والتقليدية .

※

مذهب الحرية والتجدد في العصر الوسيط

والنظريات التي اضرمت لاجلها هذه الحرب الطاحنة على الكنيسة والنظام الاقطاعي ، كان على راسها

وفي مقدمتها الحرية (Liberalism) : لقد كان الزعماء المجددون ممن رفعوا لواء هذا المذهب الجديد يدعون الناس الى الحرية والتسامح ورحابة الصدر في كل شعبة من شعب الحياة وفي كل ميدان من ميادين الفكر والعمل سواء اكانت الميادين ميادين الدين والفلسفة والعلوم والفنون والآداب، او ميادين المدنية والعمران والسياسة والاقتصاد . فانهم ارادوا ان يزيلوا عن طريق الانسان الحر المتجدد كل ما يقوم في وجهه من القيود والعقبات والتضييقات والاضطهادات . والحق انه لم يكن احد من الفريقين – طبقة البورجوازية واهل الكنيسة والاقطاعيين – في هذا الصراع على طريق من النصفة والاعتدال . فكما كانت حرية البورجوازية وتجددهم تذهب بهم الى غاية ، كذلك كان ضيق نظر اهل الكنيسة والاقطاعيين تسوقهم الى غاية اخرى . فهم على طرفي نقيض وكانت يد الاثرة عاملة في كلا الجانبين ، ولم يكن لهما ادنى علاقة بالحق والعدالة والعلم الصحيح والفكرة الصالحة . فان كانت طائفة قد استغلت اسم الله والدين والاخلاق في سبيل مدافعتها عن العقائد الملفقة والامتيازات الشنيعة والحقوق القائمة على القهر والعنف ، فان الاخرى قد افضى بها الغلو في العناد الى ان جعلت تزعزع ، باسم الحرية والمسامحة . ما كان في الديانة والاخلاق من الحقائق المسلم بها منذ اول امرها . وهذا هو الزمان الذي انقطعت فيه العلاقة بين السياسة والاخلاق وابتدعت النظرية القائلة بان لا حاجة الى مراعاة المبادىء الخلقية في الحصول على الاغراض والمصالح السياسية . وهذا هو الزمان الذي نحتت فيه اصنام القومية والوطنية والدولة القومية بـازاء الكنيسة والاقطاعيين . وبذلك بذرت بذور الفتنة التي جعلت من العالم ، اليوم ، بركانا من الحروب والمناوآت القومية . وهذا هو الزمان الذي نشأت فيه ، لاول مرة، فكرة جواز الربا ومشروعيته ، مع ان اهل الدين والاخلاق وعلماء القانون ما زالوا مجمعين على حرمته منذ اقدم الازمان ، ولم تحرمه التوراة والقرآن فقط ، بل كان ارسطو وافلاطون من القائلين بحرمته ايضا . وكذلك كان محظورا منهيا عنه في قوانين اليونان والروم ولكن لما قامت طبقة البورجوازية في دور البعث (Renaissance) وحملت بيدها راية الخروج على الكنيسة المسيحية قالت في بدء الامر : « ان الربا محظور لابد للانسان منه » ثم اثرت هذه الدعاية في المتجددين المسيحيين وسحرت قلوبهم فبداوا يبيحونه متذرعين بحيل الاضطرار لما فطر عليه الانسان من الضعف والوهن ، ثم صارت اباحة الربا مسلما بها في نفسها وتركز الكلام الخلقي في سعر الربا فقط ، وجعل اهل الكفر المتازون يؤكدون انه ينبغي ان يكون سعره مناسبا معقولا ، حتى آل الامر الى ان تاصلت فيهم الفكرة القائلة بان لا علاقة للدين والاخلاق بالمعاملات التجارية ، وان الربا شيء فطري معقول من الوجهة الاقتصادية ، فكما انه لا يعترض على كراء الدار ، كذلك ما هنالك من دليل عقلي على حرمة الربا .

ومن عجيب الامر ان كل ما انتزعه البورجوازيون من حقوق متنوعة من ايدي البابوات والاقطاعيين وملاك الاراضي بدعايتهم وجهودهم المتتابعة ، بداوا يستأثرون به دون غيرهم في دور البعث نفسه ، ولم تذكرهم حريتهم ومسامحتهم ان في الشعب طبقة اخرى دونهم قد ذاقت من شدائد النظام الاقطاعي وويلاته اكثر مما ذاقوا هم انفسهم ، فمن حقها الآن ان تنال معهم نصيبها من ثمرات هذا النظام الحر الجديد وفوائده ، وخذ مثلا لذلك انه لما تاسست الحكومة في بلاد انكلترا عن الطراز البرلماني وانتقل زمام السيادة الحقيقية في البرلمان من ايدي الشيوخ (Lords) الى ايدي العوام (Commonos) استأثر بهذه السلطة كلها (البورجوازيون) المتشدقون بالحرية والتسامح وسعة الصدر ، ولم يتذكروا ، عندما ابوا ان يعطوا الجمهور حقهم في التصويت نفس الحجج التي نالوا بها حق التصويت لانفسهم .

الانقلاب الصناعي

وفي القرن الثامن عشر سبب اختراع الآلة سرعة في سير الانقلاب الذي كان قد ابتدا في عصر النشأة الثانية . ولما سخرت المعلومات والاختراعات العلمية الجديدة في ترقية الصناعة والتجارة والزراعة ووسائل النقل ، بدات سلسلة انتاج المنتجات واعداد المواد الخام واستهلاك البضائع المصنوعة في كل قطر من اقطار العالم على نطاق واسع لم يكن ليخطر ، من قبل ، على بال .

وكانت طبقة البورجوازية ، التي كانت قد نهضت وارتفع شانها في عصر النشأة الثانية ، اقرب الطبقات والطوائف الى استغلال ما فتحه هذا الانقلاب العظيم من

ابواب الرقي والرفاهية والنفوذ والسلطة ، والاستفادة منها . وذلك لما كان بيدها من الصناعة والتجارة والثروة والسيطرة على العلم والادب . فاستخدمت الثروة والمهارة الفنية والكفاءة الادارية واقامت بها نظاما للصناعة والتجارة اشتهر فيما بعد باسم « النظام الراسمالي الجديد » وقد اقيمت ، تحت هذا النظام الجديد ، معامل ومصانع ودوائر تجارية كبيرة في المدن ، وانفضت الحلقات القديمة لاهل الحرف من الطوائف المختلفة ، وضاقت سبل العيش في وجوه اصحاب المصانع المنفردين والتجار من ذوي الثروة القليلة ، واضطر اهل الحرف من سكان القرى ان يؤموا المدن ويعملوا اجراء بين ايدي اصحاب المصانع الكبيرة هؤلاء . وكذلك لم يجد التجار من اصحاب الاموال الضئيلة بدا من ان يكونوا مستخدمين او وكلاء لهؤلاء الصناع والتجار . فهكذا تخطفت الطبقة البورجوازية كل ما جاءت به الاختراعات العلمية الحديثة من القوى واستاثرت به ، واخذت في توسيع نطاق نفوذها وسيطرتها .

وان اكبر ما حال دون امتداد هذه السيطرة ونفوذ تاثيرها ، هو تلك الولايات القومية التي كانت قد تولدت نتيجة لحركة النشاة الثانية . كان ملوك هذه الولايات يزعمون انهم يتمتعون بسلطة موهوبة لهم من الله ، وكان امراء النظام الاقطاعي الفارط واغنياؤه قد اصبحوا انصارا لهؤلاء الملوك وساطين قام عليها صرح سيطرتهم ونفوذهم ، واصبحت لهم الكنائس القومية سندا دينيا وروحانيا . وجملة القول ان السلطة كلها كانت بيد هذا « الثالوث » الذي كان يلقي في سبيل البورجوازية انواعا من العقبات ، بل لم تكن عقباته تحول دون الطبقة البورجوازية في ميدان الصناعة والتجارة فحسب ، بل كان هنالك في العمران والمدنية ايضا كثيرا من مخرفات النظام الاقطاعي لا تحبها هذه الطبقة الناشئة وتشمئز منها اشمئزازا شديدا .

مذهب الحرية والتجدد الحديث

ثم ان مذهب الحرية والتجدد ، الذي كان قد انتصر في الحرب السابقة ، نهض مرة اخرى في هذا العصر مدججا بالاسلحة الجديدة واخذ ينفخ روح الجمهورية في السياسة ، وروح الفردية في المدنية والاجتماع والادب والاخلاق وروح التحرر وعدم التقيد (Laisser faire) في الاقتصاد . ولقد كان قولهم الذي يقولونه في هذا الشان انه لا يحق للكنيسة ولا للدولة ولا للمجتمع ان يقوم في وجه سعي الفرد للارتقاء والانتفاع ، وانه ينبغي ان تكون الحرية التامة متيسرة لكل فرد من الافراد حتى يتمكن من استعمال قواه ومواهبه وكفاءاته حسب ميوله ، ويتقدم الى الامام حسب ما يستطيع ويقدر . بل لا يمكن ان تسدى الى صالح المجتمع نفسه خدمة حقيقة الا بان يتمتع كل فرد من افراده بحرية غير محدودة في كل شعبة من شعب الحياة ، وفي كل طريق من طرق العمل ومن كل قيد من القيود الرسمية والدينيةوالخلقية والقانونية والاجتماعية فهكذا استنفد زعماء هذه النظرية ورفعوا لوائها جهودهم في رفع كلمة التسامح والتحرر والاباحية والفردية — واذا قلنا بكلمة موجزة — « المعقولية » (Rationalisme) حسب ما اصطلحوا عليه .

ولقد كانوا يطالبون ، في مجال السياسة ، بان تكون سلطة الحكومة ضيقة الى اقصى حد ممكن وان يكون الفرد متمتعا باقصى ما يكون من الحرية، فلا تكون الحكومة الا وكالة تعنى باقامة العدل بين الافراد وتمنعهم من ان يتدخل بعضهم في حدود بعض وتحافظ على الحرية الفردية ، فلا حاجة للحكومة الى التدخل في شؤون الافراد هذه لا بحيث انها عاملة ولا باعتبار انها هادية . وفي الوقت نفسه كانوا يريدون الا تبقى سلطة الحكم ملكا لاسرة ملكية ولا ان يستغلها بعض بيوتات من ملاك الاراضي . انما كان قولهم ان البلاد ملك لكافة الاهالي ، ولا تسير شؤون الحكومة الا بما يؤدون لها من الضرائب ، فينبغي الا تقوم الحكومة ولا تنقض ولا تتبدل الا بآرائهم وان يكون لهم تاثير بالغ وكلمة مسموعة وقول فصل في التشريع والادارة . فهذه النظريات هي التي اصبحت اساسا لما بدا يقوم في الدنيا منذ اواخر القرن الثامن عشر المسيحي من الجمهوريات الجديدة .

اما المبدا الذي دعوا اليه واهتموا به اهتماما بالغا في الاقتصاد ، فهو انه ان تركت قوانين الاقتصاد النظرية تعمل بنفسها على سجنها بحيث لا يتدخل فيها ولا يخل بشانها العوامل الخارجية ، فالمرجو ان

تتاتي اكبر خدمة ممكنة للفلاح الجماعي بمساعي الافراد الفردية من غير محرك ولا دافع ، فيزداد الانتاج ازديادا، ويظل يتوزع بين الافراد باحسن طريق ممكن ، بشرط ان يكون الناس كلهم متمتعين بالحرية التامة في سعيهم وعملهم ، والا تتدخل الحكومة في هذا العمل الفطري بطريق متصنع . فمبدأ الاقتصاد الطلق او غير المقيد (Laisser faire) هو الذي تقرر واعتبر نظرية اساسية للنظام الراسمالي الجديد .

ومما لا ريب فيه ان مذهب الحرية والتسامح هذا الذي ذر قرنه في عصر الانقلاب الصناعي كانت فيه عناصر للحقيقة والصدق ، كما كانت في مذهب الحرية الناشىء في عصر النشأة الثانية ، وهي التي سببت له النجاح اخيرا ، ولكننا نشاهدها مقترنة بالاثرة والتطرف اي بنفس الضعفين اللذين ما زلنا نشاهدهما عاملين منذ دور البابوية والاقطاعية .

فاما الاثرة فكان من مظاهرها ان كانت مطالبة اكثرهم بالحق والانصاف خالية من الاخلاص ، وما عرضوا المبادىء الصحيحة حبا للحق وانما عرضوها لانها كانت مفيدة لاغراضهم ومساعدة عليها . والشاهد على ذلك انهم ما كانوا ليرضوا ان يعطوا العمال والجمهور المعوزين نفس ما كانوا يطالبون به لانفسهم من الحقوق .

واما التطرف فكان ظاهرا جليا في كل ما كان يصدر من قول او عمل من اصحاب الراي وارباب اليراع المخلصين منهم . فقد تناولوا طائفة من الحقائق وتجاوزوا بها حدودها الاصلية تجاوزا بعيدا واهملوا حقائق اخرى ، ونحوها عما كان لها من المقام في الحياة الانسانية ، واحلوا محلها الحقائق المرضية عند انفسهم ، مع ان كل حقيقة اذا تجاوزت حدها انقلبت باطلا وزورا وجاءت بنتائج معكوسة ، ومما لا يخفى ان هذا الافراط والتفريط يوجدان في كل ناحية من نواحي نظام الحياة الذي ترتب تحت نظريات « لاقيد » و « الفردية » و « الجمهورية » هذه ، ولكنه اذ كان موضوع كلامنا الآن « الناحية الاقتصادية » خاصة فلنضرب الآن صفحا عن النواحي الاخرى ولنبين ، مستعرضين هذه الناحية الاقتصادية وحدها ، كيف كان ذلك النظام الاقتصادي غير المتزن الذي اقامه هؤلاء القوم بمزجهم عناصر الاثرة والتطرف بقوانين الاقتصاد الفطرية ثم ما نتج عن هذا النظام الاقتصادي من نتائج وخيمة .



حدائق باب ابي الجنود بفاس ، وهي تقع بين المدينتين ، فاس القديمة ، وفاس الجديدة .



من اقدم الكتب التي الفت ــ بالعربية ــ فى الاطعمة، وطريقة تهييئها ، كتب الاندلسيين ، وتوجد الآن بمكتبة الاسكوريال) ، مخطوطات لبعض الاندلسيين ، فى هذا الصدد ، كما توجد ببعض المكتبات الخاصة بالمغرب ، مخطوطات منها ، مثل مخطوط بمكتبة عائلة بنونة بتطوان ، ونعلم ان احد الاسبان ، الذين يهتمون بالثقافة العربية الاندلسية ، يهيء اطروحة حول مخطوط من هذا القبيل ، يشرف عليه فى هذه الدراسة ، المستشرق الاسباني ، دون غرسية غومس ، اما الذي يقوم بتحضير ذلك الموضوع ، فهو تلميذه السنيور فرنندو دي لاكرانخا .

واذا ما تصفحنا كتب الآداب الاندلسية ، والتراجم ، فاننا لا نعدم ان نجد خلالها ، ذكرا لبعض الاطعمة ، التي ما زالت حتى الآن معروفة لدينا بالمغرب مثل :

الاسفنج :

يقول الوزير الكاتب ، ابو حفص عمر بن الشهيد، من رجال القرن الخامس ، فى احدى مقاماته :

اخذي كذا بركاب الضيف انزله
الذ عندي من الاسفنج بالعسل

والتفايا :

من الاطعمة المعروفة بتطوان ، خصوصا فى اسابيع المواليد ، يقول فيها ابن عمار صاحب المعتمد ابن عباد :

تعلقته جوهري النجار
حلي اللما جوهري الثنايا
من النفر البيض اسد الزمان
رقاق الحواشي كرام السجايا
ولا غرو ان تغرب الشارقات
وتبقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل الا جمان الحديث
تساقطه من ظهور المطايا
شننت الملث للزعفران
وملت الى خضرة فى التفايا

والثريد :

معروف قديما وحديثا فى البلاد الاسلامية ، ولكن مدلوله يختلف ، والذي نجده فى الاندلس ، هو عينه الذي نجده بالمغرب ، خصوصا تطوان ، وقد وصفه ابن زمرك فى ابيات له ، يشكر فيها محمد الخامس ، ابن الاحمر ، على اهدائه اياه جفنة منه ، فقال :

طعامك من دار النعيم بعثته
فشرفني من حيث ادري ولا ادري
بجفنة نعمى قد سمونا لا وجها
قصدنا باعلاها الشهي من الطير
وقوراء قد درنا بهالة بدرها
كما دارت الزهر النجوم على البدر
فما شئت من طعم زكي مهنا
وما شئت من عرف ذكي ومن نشر

والثردة :

كانت معروفة فى الاندلس كما هي عندنا ، يقول الاديب محمد بن مسعود ، من رجال الذخيرة :

جنبونا سجية العشاق
ودعونا من الهوى والتلاق
واقلوا من البكاء على الرسـ
ـم ولا تأسفوا غداة الفراق
ما بشخص الحبيب يفرح ذو العقل
ولا بالخدود والاحداق
انما الملك ثردة من بقايا
من دجاج مسمنات عتاق

والدشيش :

معروف عندنا ، كما هو معروف السميد ، ويقول فيها الشاعر المذكور ، نفس القصيدة :

واذا قيل لي بمن انت صب
وعلام انسكاب دمع الاماقي
قلت بالسكباج والجمليا
ت ورخص الشوا معا بالرقاق
وجشيش السميد اعذب عندي
من رضاب الحبيب عند العناق

والمجبنة :

كذلك معروفة خصوصا بتطوان ، كما كانت معروفة بالاندلس ، ومن قولهم المأثور : (من دخل « شريش » ولم ياكل المجبنات فهو محروم) ، ذلك ان شريش ، اشتهر — كما يقول المقري في النفح — بجبنها الذي تجود به المجبنات ، وفيها يقول ابن جابر الدباح الاشبيلي : (1)

احلى مواقعها اذا قربتها
وبخارها فوق الموائد سامي
ان احرقت لما فان اوارها
في داخل الاحشاء برد سلام

ويقول فيها شيخ ابن الخطيب ، ابو البركات البلفيقي :

ومصفرة الخدين مطوية الحشى
على الجبن، والمصفر يوذن بالخوف
لها بهجة كالشمس عند طلوعها
ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ويقول فيها ابن الابار : (2)

بنفسي منلجات للصدور
لها سمتان من نار ونور
جواسل وهي ابكار عذاري
تزف على الاكف مع البكور
كبرد الظل حين تذاق طعما
وفي احشائها وهج الحرور
لها حالان بين فم وكف
اذا وافتك رائعة السفور
فتغرب كالاهلة في لهاة
وتطلع في يمين كالبدور

ولابن الاحمر الغرناطي من رجال القرن التاسع ، فيها :

ورب مجبوبة شيدت
كانها الشمس في حلاها
فاعجب لحال الانام : من قد
احبها منهم قلاها

ويقول فيها ابو اسحق ابراهيم بن المناصف القرطبي ، الداني : (3)

هات التي ان قربت جمرة
فهي على الاحشاء كالماء
وكلما عض بها لائم
تبسمت عن ثغر حسناء
تبرية الظاهر فضية الـ
ـباطن لم تصنع بصنعاء

والرغايف :

كانت معروفة عندهم ، على الصفة المعروفة عندنا الان ، يقول الوزير ابن الشهيد السالف الذكر ، من ابيات سبق الاول منها — يليه الآتي :

او من رغائف كانون ملهوجة
او رائب بقري جيد العمل

1) توفي الدباح سنة 646 ※ 2) توفي ابن الابار سنة 658 ※ 3) توفي سنة 627



لست اجهل ابدا اين وقعت هذه القصة . بل انا اذكر جيدا مكانها وزمانها ، بل اذكر جيدا تفاصيلها كأنما اعيشها الآن رغم بعد السنين .

انها قصة لرجلين يختلفان فى المكان ويختلفان فى الزمان ويختلفان فوق هذا وذاك فى طبيعتهما ، وان كانا متحدين فى نوع العمل الذي يقومان به ونفس العمر .

ان احدهما قد عاش فى مصر خلال الحرب الماضية ويعيش الآخر الآن فى تونس خلال الازمة الحالية . فهما خادمان كان اولهما عندي حينما كنت طالبا فى مصر ، ويعيش الآخر معي الآن فى الفترة الحالية . ولست فى حاجة الى القسم باني لم اكن لاتخذ لي خادما الا لايماني بقول الشاعر .

الناس للناس من بدو ومن حضر
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

فعلى هذا الاساس كان لي خادم وانا طالب ، بل كان لنا جميعا نحن كتلة من الطلاب ، ربطت بيننا وحدة المنشأ والدراسة والمذهب . عشنا زمنا من دون خادم نعاني قلقا مفرطا كلما عدنا من دراستنا زوالا ولم نجد غذاءنا مهيئا ، ولم تكن لتجدينا عملية التعاون لتهيئة الغذاء ، لان المسألة مسألة وقت ، ولم نكد نتخلص من هذه العملية حتى يحين وقت الدرس ، واذا بنا نهرول حتى نتأخر عنه ، وهكذا عشنا فترة قلقة اضطرتنا الى ان نذهب الى مكتب التخديم ليبعث لنا من يخدمنا . وشاءت الصدفة ان اكون فى البيت يوم العطلة بعد الزوال لاستقبل هذا الشاب الصعيدي الذي لا يتجاوز سنه الخامسة والعشرين ، لقد كان رث الثياب شديد السمرة ، ولكن تبدو فى محياه انطلاقة المرح والبشر التي يبدو انها من مميزات ابناء الصعيد .

كنت جالسا فى شرفة المنزل ادخن هائما حينما قدم لي نفسه من غير سؤال : ان اسمي محمد، ارسلني مكتب التخديم حسب رغبتكم . اليس كذلك ؟ وكنت لا ازال ادخن هائما واذا به يفاجئني قائلا : **(صح النوم يا بيه !)** ودهشت فلم اكن انتظر من خادم لم يخدم بعد ، هذا الانطلاق لاول مرة اراه فيها ، وكأنما هو زميلي منذ صباي ورفيقي فى المكتب . ولم اله غير اني بدأت اساله الاسئلة الاعتيادية فى مثل هذه الحالة ، قلت اين كنت تشتغل قبل ان تتعطل عن العمل ؟ قال عند فلان بك ، قلت ولماذا خرجت من عملك . قال : لاني سارق . وهنا لم استطع ضبط اعصابي ، قلت كيف ؟ أسارق انت وتريد ان تعمل عندنا ؟ امجنون انت ؟ كان يتحدث ببرود وعلى شفتيه ابتسامة الرضى والاطمئنان ثم زاد فقال :

كل الذين كنت اعمل عندهم كنت اسرقهم ، لانهم كانوا يمنحونني مرتبا زهيدا ، وانا ادخن ، ولا اجد الكفاية لشراء السجاير . قلت كم المبلغ الذي كنت تتقاضاه . قال عشرين قرشا — وكم تريد ان نعطيك قال ثلاثين قلت واذا منحناك هذا القدر اتتوب عن السرقة ؟ قال نعم ، وصمت افكر فى هذه الجرأة ولم اكن لاسميها وقاحة ، لان اسلوب ادائه كان فى غاية الرقة واللطف . صمت افكر فى احتياجنا الى خادم ، وفى مشكلة السرقة . واذا به يكفيني مؤونة التفكير حينما فتح فمه لقراءة سورة البقرة . فانتفضت مندهشا قائلا فى نفسي : ما هذا أصوت انسان هذا ام صوت ملاك ؟ لانه لم يكن يملك صوتا جميلا فحسب ، بل صوتا سماويا لا شبيه له بين اصوات البشر الجميلة، لقد ملك علي لبي واحاسيسي . لم استطع ان اخرج من القيد الذي وضعني فيه بصوته الساحر ، فلما انتهى من السورة رجوته ان يقرأ ايضا ، وهكذا كلما انهى سورة رجوته فى قراءة اخرى ، وانا انتظر مقدم الاخوان ليشاركوني اعجابي . وحينما وصلوا اخبرتهم

خبره، فاتفقوا جميعا على ان لا حاجة لنا بخادم سارق . قلت لهم لي رجاء واحد وهو اي تتمتعوا ربع ساعة بصوته الجميل قبل ان تطردوه ، فوافقوني ، وفتح محمد الصعيدي فمه ، وبدا يتلو سورة « ياسين » وبدا كل منا ينظر الى الاخر فى اندهاش ، انه آية فى الابداع والروعة والجمال . ولما انتهى من التلاوة اتفق الجميع على ان يبقى ، ونسى الجميع انه سارق . وهكذا ظل محمد الصعيدي يسرقنا ويتلو القرآن . فينسينا سرقته شهورا عديدة ، حتى توترت اعصاب احد الزملاء يوما فطرده فى غيبتنا .

❋

وشاءت الصدفة ان يكون لي فى تونس خادم آخر اسمه محمد ، انه فى مثل سنه ، لا يختلف عنه كثيرا . شاب وديع لين امين ، يعمل كل شيء يتعلق بالبيت من غسل وكي وطبخ ، عيبه انه لا يبتسم قط ، تبدو على محياه دائما كآبة ومسحة من الحزن العميق ، وبعد اسبوعين فقط من عمله دخلت البيت فوجدته يبكي مثل الطفل الصغير ، يبكي بصوت تخنقه العبرات ، فهالني ما رايت وتعبت معه لكي اعرف سبب بكائه ، ولكنه لا يجيب ، ترى امات ابوه ؟ افقد امه او احدا من اقربائه ؟ كنت اردد هذه الاسئلة بخاطري فى صمت ، واعود اليه لاساله مرة اخرى من غير فائدة ، وتركته لحاله وانصرفت عنه ومرت بضعة ايام ، واذا بي اعود الى البيت مرة اخرى فاجده يبكي تماما مثلما وجدته فى المرة السابقة . وفى هذه المرة صممت على ان اخرجه من صمته لاعرف سبب بكائه ، لقد اتخذت معه اسلوبا آخر فيه شيء من الجفاف ، وفعلا نطق ، نطق بكلمة واحدة لم يزد عليها « **عائشة** » وكانما كان نطقه بهذا الاسم وقودا لناره المشتعلة فى صدره ، فازداد بكاء كما ازداد التهابا .

قلت له من عائشة هذه وما قصتها ؟ فانتفض الرجل الوديع الحيي انتفاضة الطير الذبيح، وبدا يرجوني فى حشرجة كاوية ، ان اسمح له بالذهاب الى بيت امه ، لانه فى حالة من التعب والقلق لا مزيد عليهما ــ فاذنته فانصرف ، ودخلت انا مع نفسي فى معركة الى الصباح . قلت لها اولا : ان العالم بخير ما دام مثل هذا الحب العارم الجارف موجود ، ويفرض نفسه ، وما دام فيه افراد يحبون هذا الحب الجنوني العذري البريء ، وبدات افكر فيما كنت اسمعه عن هذه المراة من حكايات وقصص ، حكايات كانت تقال جزافا وما كنت لاعيرها اي انتباه . فاكره ما يكون على نفسي ان استمع وانا على المائدة حديثا يتعلق بشؤون الناس الخاصة ، حتى الحديث عن الحب العذري ــ ان صح ان فى العالم حبا عذريا ــ بدات وحيدا فى هذا الليل البهيم العاصف اربط خطوط تلك الحكايات والم بعضها الى بعض ، تماما كما يفعل هاوي حل الكلمات المتقطعة .

وكان صوت الرياح والرعد والبرق وصوت الامطار المتهاطلة من كل صوب ، يزيد فى اذكاء خيالي واطلاق عنانه : عائشة امراة لا يتجاوز سنها الخامسة والعشرين ، ذكية جدا ، سمراء ، فى محياها ملاحة وعذوبة ، فارغة القوام ... اجمع هذه الكلمات لاربط بينها واكون الصورة الحقيقية لهذه المراة التي لعب جمالها بلب محمد الخادم الولهان ، فاذا بنباح لاكي يزعجني ، فاقوم لاطل من النافذة واستطلع ما حولي ، فاذا بي لا اجد شيئا عدا ان « لاكي » يمتاز بخيال وقاد يصور له اهتزاز ظلال الاشجار فى الضياء اشخاصا يودون اقتحام البيت ، واداعب « لاكي » زمنا ليريحني من ضجيجه ، ثم اعود لاتمم ما اجمع من الصور : عائشة خفيفة الروح لها ابتسامة تقطر حلاوة ، خادمة كبقية الخادمات ، ولكن لها اعتزازا بنفسها وكرامتها ، امينة ومتدينة ، قابلها مرة فى احد المنازل ، وعملا معا فى حفلة عرس ، فتحابا ، ولعل صفات الخير والفضيلة التي تتحلى بها روحاهما ربطت بينهما بهذا الرباط القوي ، وجعلت كلا منهما يهيم بالآخر ، غير ان الاقدار فرقت بينهما ، فاضطرت هي الى الهجرة الى بلادها لوفاة والدها ، ولانها الوحيدة المسؤولة عن اخوتها الصغار . على امل ان ترجع اليه بعد حين ، واضطر هو المسكين ان ينتظرها بفارغ الصبر هذا الزمن الطويل . انه يواصل الليل بالنهار والنهار بالليل ، هذا الالم الدفين الذي يقض مضجعه وهذا الاسى العميق الذي يهد كيانه، وبين الحين والآخر تنفذ عنده طاقة الصبر ، فينطلق يبكي كالطفل الرضيع .

وهكذا لم يعد محمد المسكين يتقن اي عمل يعمله بعد ان كان مثال الاتقان ، بل اصبح كهفا مليئا بافاعي الهوس والحيرة والجنون ، ينتظر الحبيب الغائب ان يعود . وهل يعود ؟



للشاعر الاستاذ
محمد الحلوي

اطلق النار او فسل الحساما   هم ارادوا ان لا يقروا السلاما

وامتط الادهم المطهم او فاســـــر بليل وعانق الاكاما

واملأ الغاب من زئيرك كالليـــــث يهز الهضاب والآجاما

رخض الموت ثائرا عربيا   ابن اسد ماتوا اباة كراما

وادرها على البغاة كؤوسا   مترعات مرارة وزؤاما

وارمها من بنادق الله نارا   كالنيازيك تحصد الاجساما

ارمها يا فتى الجزائر نارا   تسكن الذاعر الاثيم الرجاما

ارمها ؛ ارمها مواكب للمـــــوت ، وللثكل ، تقطع الارحاما

تتحرى القلوب مرمى ، وتفرى   وهي تسري ـ عن الرؤوس الهاما

واسق ارضا قد كان قبلك اجـــــداد سقوها دماءهم ان تضاما

لم يرعك العدو يفتك بالشعـــــب ويسبي النساء والايتاما

يصعد الآه من فظائعه الســـــود ، ويشكو من عسفه الالاما

لم يرعك العدو فى عدد النمل   يسوق الجيوش والاعلاما

يرسل الموت من جبال حديد   مرعدات تزلزل الاهراما

ونسور فى الجو تقذف اشكا   لا من الموت ، تستقل الغماما

وضوار من الرجال جفاة   وقساة تعودوا الاجراما

❊ ❊ ❊

زعموا ارضك الجزائر ملكا   لفرنسا تسلمته اغتناما

وتناسوا حضارة العرب الا مجـــا د فيهــا والضــــاد والاسلامـــــا

زعمـــوا اهلهـا رعايا وشـــاءوا ان يسوقــوا اباتهـــا اغنامــــا

فـاذا بالاحـــرار يمتشقون الســــــــــــــيف نارا ويكشفون اللثامـــــا

ويشبونهـــا جحيمـــا على الـــرا عي ليلقي من قبضتـــه الزمامـــا

يتقـاوى مـــن الهزائـــم والخـــز ي ويرجو ان يثبـت الاقدامـــا

مثخنـــا بالجـــراح يصـــرخ في ياس غريق ، يستنجـــد الاوهامـــا

ليس من طبعه الحفاظ على الجـــــــــــــــار ولا اعتاد ان يصون الذمامـــا

كلمـــا هالـــه اقتحام المنايـــا في مجالاتها وهـــاب الصدامـــا

انزل الويل بالقرى وهـي عـــزل وغـــزاهـــا ليظهـــر الاقدامـــا

ربما هاب صائد نـــاب اســـد فتعزى عنـــه وصـــاد النعامـــا !

كلمـــا مـــر عـــام ترجـــوا لانتصاراتهـــم على الحق عامـــا

وانتصار الضلال والباطـــل الزاهـــــــــــــق شـــيء يقـارب الاحلامـــا

ان للحـــق جولـة تصـرع البغـــي فتمســـي اعمـــاره ايامـــا

اخمدوا ثورة الاميـــر ولـــم يـــــــــــــــدروا بان الرماد يخفي الضرامـــا

فابتلـوا بعـده باسد غضـــاب جامحات لا تعرف الا حجامـــا

حرموا الطيبات يـــوم تنـــادوا وتساقوا كـــاس المنايـــا مدامـــا

ودعوا المخدع الوثيـــر وعاشـــوا بين جفن الحمام يقظـــى نيامـــا

عاهـدوا اللـــه والجزائـــر ان لا يغمدوا السيف او ينالـــوا المرامـــا

والضراغيم من بنـــي العـــرب لا تنجـــــــــــــــب الا المصـــاول الضـــرغامـــا

* * *

قد خبرناهم فكانـــوا جفـــــاة وابتليناهـــم فكانـــوا لئامـــا

وسقونا كما سقوكـــم حمامـــا فرأونـا كمـــا راوكـــم كرامـــا

زعمـــوا انهـــم طلائع للخيــــــــــــــــــر ورسل يوطدون السلامـــا !

وهـــم الوالغـــون في دم شعـــب عربـــي يشـــردون الايامـــى

* * *

فاصرخـــي يابنـة الجزائـــر صـــــــــــــــرخـات رؤوم تدهـده الايتامـــا

تركتها اظافر الوحـــش ثكلـــى تجرع الجوع والاسى والسقامـــا

واحضنـــي افتـك الســـلاح اذا فاتك ان تحضني الهوى والغلامـــا

واري القوم كيف تفتـــرس الفيــــــــــــــد ويخشى المستاسدون الرئاما !

ارسلي النظرة الحنون شواظـــا يتنـــزى ويـــزدري الاعجـــامـــا

واملئي مسمع الزمان زغاريـــد تـــــــــــــــدوي ورجعـــي الانغامـــا

لهفي للايدي النواعم كانت   تنسج البرد او توشي اللثاما
عاكفات على الطروس تفيض الحسن فيها وتمسك الاقلاما
تصنع الخير والغذاء وترفو   وتواسي الجروح والآلاما
لهفي للايدي النواعم تدميها قيود المستعمرين انتقاما
لهفي لليتيم يبحث عن ام طواها الردى يردد : ماما
اذهلتها عنه طلائع وحش   جائع ، قبل ان يعد الفطاما
وتخلت عنه لتحمي عرضا   عربيا اسمى واعلى مراما

* * *

ايها الآمنون غدر الليالي   هل اخذتم من الليالي ذماما ؟
ان لله اعينا تتقراكم وبطشا يزجي به الاياما
فارقبوا منه لعنة ملؤها الخزي تعضون بعدها الاقداما
ان للنصر هبة كالاعاصير تهز الجبال والاطاما
تنحني تحتها جبابرة الظلم ويبدون عندها اقزاما
فامش فى موكب الجهاد ولقن ادعياء السلام ان لا سلاما
قد خدعنا بالانكلوسكسون حينا   وخبرنا من بعده العم ساما
فعلمنا ان الحياة لذى ظفر وناب ، لا من يجيد الكلاما
ووجدنا السلاح خير خطيب كلما فاه اخرس الاقواما
ان ليل الغزاة ولى وفجر الغرب يبدو مهللا بساما
بارك الله فى الجزائر شعبا عربيا مناضلا مقداما



الصحراء المغربية ارض البطولة والخير والجمال

الطبيب عبد الوهاب الدراق

للأستاذ : عبد الوهاب بن منصور

لصاحب الجلالة محمد الخامس نصره الله عناية كبرى بتاريخ المغرب ، ورغبة شديدة في احياء مآثره ومفاخره ، فلا تكاد فرصة تسنح له حتى يغتنمها للاشادة بالماضي الوطني ، والاشارة الى ما تحفل بـه صفحاته الناصعة من جلائل الاعمال واجلاء الرجال .

وقد قر في ذهنه الثاقب ، ورايه الصائب ، ان ادنى الامم منالا واسلسها قيادا ، هي الامم التي ليس لها ماض تعتز به ، اولها ماض زهدت فيه وتنكرت له، وان اصلب الامم عودا واقواها شكيمة ، واحذرها من الفخاخ التي ينصبها لها اعداؤها ، والموبقات التي يرصدونها لها بكل طريق ، هي الامم التي تعتز بتاريخها وتستخرج منه العبرة وتلتمس مثلها العليا ، وتمتزج به امتزاجا يقوي ما بينها وبين سلفها من صلات .

ولهذا السبب يحرص جلالته على ربط حاضر المغاربة بماضيهم حرصه على وضع البرامج وابتغاء الوسائل التي تتيح لهم مستقبلا يضمن لهم ولابنائهم حياة عزيزة وعيشا رغيدا .

وسيرا في هذه الطريقة الحميدة ، واتباعا لتلك السياسة الرشيدة ، اطلق جلالته اسم عبد الوهاب الدراق على المستشفى الذي دشنه بمدينة زاكورة من اقليم ورزازاة يوم الاربعاء 7 شعبان الماضي (27 يبراير 1958)

وقد احببت بهذه المناسبة ان اتحدث قليلا عن هذا الطبيب المغربي الكبير ، احياء لذكراه ، ونصرة للمبدا الذي يسير جلالة الملك في نهجه القويم :

هو ابو اليمن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدراق ، لا تتحدث كتب التراجم والتاريخ التي بين يدي عن مسقط راسه وسنة ولادته ، اما الاول فلن يكون غير فاس او مكناس فيما ارجح، واما الثانية اوائل النصف الثاني من القرن الحادي عشر فتكون ولادته ونشاته صاحبتا مولد الدولة العلوية الشريفة ونشأتها .



جلالة الملك يدشن مستشفى عبد الوهاب الدراق بزاكورة

وكان لاسرته تعلق بالشيخ عبد القادر الجيلاني ولها فيه حسن اعتقاد ، وربما حدثتها النفس ان تدعي اليه النسبة الشريفة بسبب هذا التعلق به والاعتقاد الحسن فيه ، كما حدثت المترجم نفسه بذلك ايضا . ولكنه اصم اذنيه عن حديثها في النهاية ورأى ان حب هذا الشيخ يغني عن الانتساب اليه ، ويفيد ما يفيده

رمت انتساب سلالة الشيخ الذي
شرفت بنسبته بنو جيلاني
اذ ما استطعت سوى العكوف ببابه
متضرعا عل الندى يغشاني
فطمحت بالالحاق لو سمحوا به
لانال ما نالوه من عرفان
اذ من اتى بابا ولازم سدة
دخل المكان على هدى وامان

بدا تعلمه فى (المسيد) حسب الطريقة المتبعة فى ذلك العصر والتي استمرت الى هذه السنين المتاخرة ففيه اتقن القراءة والكتابة ، وحذق القرءان ، وحفظ بعض المتون الفقهية والنحوية ، ثم بدا بعد ذلك يجلس الى العلماء والفقهاء فيتلقى منهم علوم اللغة والدين وبعض الفنون الرياضية والطبيعية ، ومن اكبر شيوخه الفقيه المؤرخ عبد السلام القادري ، والعلامة الاديب ابو على الحسن اليوسي الذي نشد فيه :

من فاته الحسن البصري يدركه
فليات للحسن اليوسي يغنيه

ومن الطبيعي ان يستلفت الطب نظر الدراق اثناء تعلمه ، وان ينصرف اليه بالكلية بعد تخرجه ، لان بيته عريق فيه اصيل ، فهو طبيب ابن طبيب ابن طبيب ، ولا جرم ان والده كان استاذه فى هذا العلم ، عليه تلقاه، ومن فمه اخذه ، وبخزانته استعان، ومن تجاربه استفاد حتى برع فيه ومهر ، وذاعت شهرته وانتشر ذكره ، واصبح منزله مقصدا لكل من مسه الضر قريبا من بلده او بعيدا عنها ، وكان توفقه فى معالجة مرضاه كفيلا بان يصل بينه وبين المولى اسماعيل ، فلم يكد هذا الملك العظيم يامر امره، ويعظم شأنه، ويجمع شتات المغرب ويوطد اركان الدولة الجديدة ، حتى اصطنعه لنفسه ، وجعله طبيبه الخاص ، المسؤول عن صحته ، وسلامة ذاته ، وآسى اولاده وزوجاته ، وقربه منه والزمه اعتابه ، فصار لا يفارقه فى سفر ولا حضر ، واحله محلا رفيعا لم يحل فيه غيره ، حتى اصبح **(تقف ببابه الوزراء فمن دونهم وقوف المماليك بابواب الملوك ... وكانت له مكانة عظيمة لم يلحقها غيره ، بحيث لا ترد شفاعته ، ولا تهمل اشارته وكان مضربه ومنزله فى الاسفار اعظم من مضرب اكبر العمال)** كما يقول النقيب الزيداني فى اعلام الناس (: 400) .

ويظهر ان الدراق كان واسع الحكمة ، عظيم الذكاء ، حسن التصرف وهو يختلط بالاسرة المالكة ويقوم بالواجب نحوها بالغدو والرواح ، فقد كان يعرف قدره ويجلس دونه ، ويقصر نشاطه على عمله الذى يؤديه باقتدار واخلاص ، متحببا متوددا الى جميع من تحدق بهم اسوار دار المخزن ، من غير ان يدلي دلوه فيما لا يعنيه من شؤون الدولة وسياسة الملك ، وهذا ما ابقى له الحظوة عند ابناء المولى اسماعيل بعد وفاته ، فقد عرف له المولى علي والمولى عبد الله فضله واستقامته ، وحافظا له على القيمة التي كانت له فى حياة والدهما ، ورعيا له منزلته القديمة لديه ، واستمرا على عهده معه فى العطف عليه والرفق به والتودد اليه ، وما من ابناء المولى اسماعيل الا من عولج على يديه وشفي من الم اصابه ، او مرض تعرض له ، وما منهم الا من آمن باخلاص الرجل لمهنته ، واقتنع بصواب رايه فى الابتعاد عن الخلافات التي نشأت بينهم بعد وفاة ابيهم ، فلم يحاولوا الزج به فى خضمها ، ولا القاءه فى تنورها ، وقنعوا منه بالطبابة والعلاج ، مغدقين عليه العطاءات الجزيلة، مقطعين اياه الاقطاعات الواسعة، وهم يرونها قليلة فى حقه ، غير وافية بما يستأهله من مبرة واكرام .

لقد افادته هذه الانعامات الملكية فائدة جلى ، واعانته على زيادة التبحر فى الطب والتعمق فى معرفة عوارض الامراض وخواص العقاقير ، ففرغ لها خالي القلب ، مستريح البال ، غير مشغول بحاجات اهله ، ولا مهموم بضرورة الحياة واثقالها ، فاصبح علما من اعلام الطب بالمغرب ، ومفخرة من مفاخر العصر العلوي .

ولقد حافظت لنا كتب التراجم على بعض الحكايات التي تدل على علو كعب الدراق فى الطب وطول باعه ، ومهما يكن فى بعضها من زيادات او مبالغات فانها تدل على الهالة التي نسجتها حوله براعته فى ذلك العلم ومهارته .

منها ما يحكى من ان شخصين ارادا ان يختبراه فى الطب ، وكان من عادته ان يحلل بول المريض ويتعرف منه على مرض صاحبه ، فاتاه الشخصان المذكوران بزجاجتين ، فى احداهما بول كبش ، وفى الثانية ماء مطر راشح من سقف بيت قديم ، وادعيا انه بولهما ، ووقفا مع الواقفين ينتظران دورهما ، فجعل الدراق يحلل الابوال ويصف لكل مريض علاجه ، واخر صاحب بول الكبش وصاحب قطرة السقف حتى فرغ من شان المرضى الحقيقيين ، ثم ناداهما فقال لصاحب الكبش : **مريضك غلب عليه الشحم فان لم تذبحه عن قريب مات .** وقال لصاحب السقف : **اجعل له حريرة والا سقط عليك ،** واراد ان يوجههما الى الحاكم ليزجرهما، ثم عفا عنهما .

ومنها انه كان يمر على طراز براس الشراطين بفاس ، فيسمع صانعا يترنم ببعض الابيات الشعرية فيستحسن غناءه ويقف ليسمعه ، فمر يوما فوجد صوته متغيرا ، فطلع الى الطراز الذي يشتغل فيه ، وطلب الآنية التي يشرب منها الصانع ، فكسرها ، فوجد بداخلها وزغة ، فقال : هذه التي غيرت صوته .

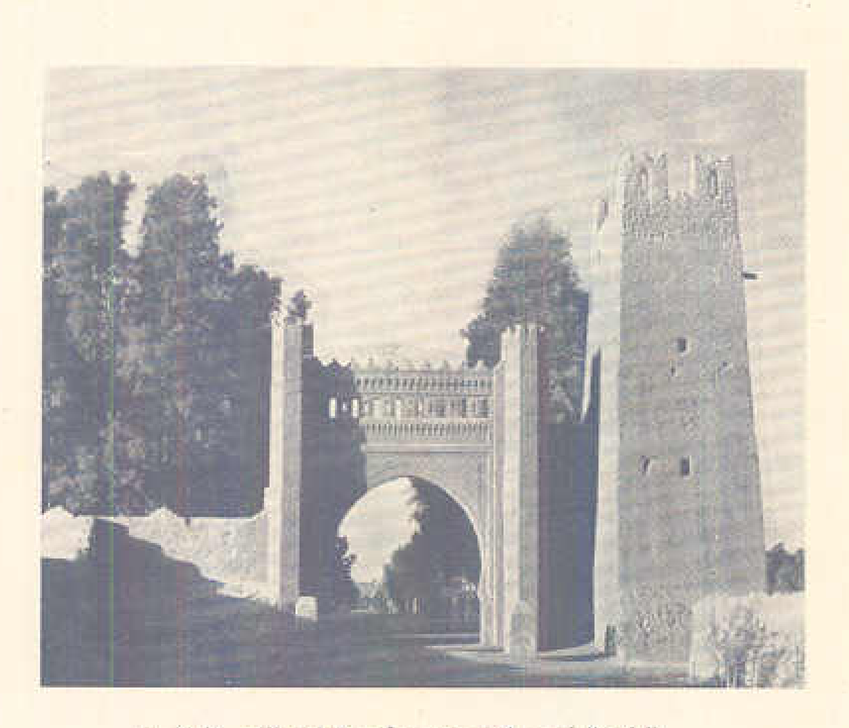
ومنها انه كان مارا برصيف فاس مع عبده ، واذا بفاسي يحمل لبنا وسمكا ، فامر عبده ان يتبعه الى منزله الذي يسكنه ويقيده ، ففعل ذلك ، وفى الغد امره بالذهاب الى ذلك المنزل ، فذهب ووجد به جنازة ، فذهب الدراق ودخل على الميت وفصده فى محل ، فلم تمر هنيهة حتى زال ما به واستفاق من غشيته .

والحكاية الاخيرة يظهر فيها النحل والوضع ، وهي محمولة على الخرافة التى اشتهرت فى العصر العباسي عن مضار الجمع بين اكل السمك وشرب اللبن ، تلك المضار التي حذر منها فى مثال نحوي يتردد كثيرا على السنة معلمي القواعد العربية فى باب واوالمعية وهو (لا تاكل السمك وتشرب اللبن) . كما حذر منها فى مثل مغربي عامي يتردد على السنة النساء بكثرة (اللبن والحوت ، ها ذاك الضر المنعوت) ، وقد اثبت الطب الحديث والتجربة الصحيحة ان لا خوف من الجمع بينهما ، وان دخان هذه القالة ليست وراءه نار

وللدراق انظام كثيرة بعضها يكتسي حلة صوفية، وبعضها ذو علاقة بمهنته وفنه الذي برع فيه اكثر من غيره ، وقد سموها شعرا وليست من الشعر فى شيء، كما ذكر من المؤلفات

1) ارجوزة ذيل بها ارجوزة ابن سينا فى الطب
2) ارجوزة فى حب الافرنج المسمى بالنوار
3) هز السمهري ، فيمن نفى عيب الجدري ، رد به على من قال ان الجدري ليس من عيوب الرقيق.
4) تعليق على التذكرة لداوود الانطاكي
5) منظومة فى ذكر اولياء مدينة مكناس

وقد عمر الدراق طويلا ، وتوفي بفاس ليلة الاثنين 28 صفر الخير عام 1159 ودفن بروضة محمد الطالب قرب ضريح الشيخ على بو غالب .



الباب الرئيسي لمدشر من مداشر آرفود اقليم تافيلالت



2

عبد الرحمن الناصر والقرويين

ولكن القرويين الواسعة ، اصبحت بعد نحو من قرن من تأسيسها تشكو الضيق ، وتتوق الى يد الاصلاح ، فهل ستجد من يرهف السمع الى حاجياتها ؟

نعم ، وكان هذه المرة هو الامير احمد بن ابي بكر الزناتي ، الذي ثار ضد حامد ابن حمدان ، سنة 322 (934) داعيا لبني مروان بالاندلس ... لقد كان في جملة الاعمال التي قام بها ـ وقد استقرت الاحوال واصبح المغرب تابعا للمعسكر الاموي ـ ان كتب الى الخليفة عبد الرحمن الثالث « ولي سنة 300 (912) وتوفي سنة 359 (961) » اقول : كتب اليه يستأذنه في ترميم المسجد والزيادة فيه ، حيث ان عدد السكان في نمو مطرد دائما ...

نعم لقد كان احمد يعلم شغف العاهل الاموي بالمنشآت العمرانية ، فهو صاحب « مدرسة الطب » التي تعتبر اول مدسة انشئت في اوروبا ، وصاحب « مكتبة غرناطة » التي عدت اعظم مكتبة على وجه الارض في ذلك العهد ، وصاحب « دار الروضة » التي تقوم على اربعة آلاف وثلاثمائة سارية من المرمر الخالص، وصاحب « دار الصناعة » التي تعني بصناعة العاج ، والآبنوس والصفر ومواد التلبيس والترصيع والتطعيم .

رجا الامير الزناتي من الناصر الاموي ان يلتفت الى جامع القرويين ... ولم يكتف الناصر فقط بالاذن لعامله ابي بكر ، ولكنه أسهم في المشروع « بمال كثير من اخماس غنائم الروم » اذ كان له في ذلك علاوة على القربان لله ، مصلحة سياسية ، فان منابر المسجد السنة ناطقة للسلطة التي تتولى ناصية الامور ...

القرويين الثانية :

وهكذا زاد فيه الامير احمد بن ابي بكر من الجهات الثلاث : الغربية والشرقية والشمالية التي ظلت شاغرة دون بناء ؛ فمن الجهة الغربية اضاف اربعة اقواس الى بلاط من البلاطات الاربعة القديمة ، ومن الشرق اضاف خمسة اقواس كذلك الى كل بلاط ، وعلى حدود هذه البلاطات الاربعة مضافا اليها ما ذكر ، كانت الزيادة المهمة من جهة الشمال : لقد بنى الامير احمد ثلاثة بلاطات في محل الصحن القديم تمتد على حدود هذه البلاطات الاربعة ، اثر هذه البلاطات السبعة باستثناء قوسين من الجهة الغربية يقع الصحن مع جناحيه الشرقي والغربي ، وهما اي الجناحان ، يلتقيان عليه ، والغربي منهما يتالف من خمسة بلاطات كل منها ـ خلا منطقة الصومعة ـ ذو قوسين ، بينما يشتمل الجناح الثاني على خمسة ، كل منها من اقواس ثلاثة ، هذا الى البلاط الذي يوجد مؤخر الصحن محمولا على المستودعات ، والذي يتقعر قليلا على شكل مثلث من جهة الركن الشمالي الغربي ...

لقد اشتملت الزيادة الجديدة على نحو من الفي متر ، وخمسمائة وستة عشر ميترا ... فانت ترى ان هذه الزيادة كانت « كثيرة » على حد تعبير المورخين ... ان القرويين اصبحت منذ اليوم من ثلاثة عشر بلاطا : سبعة من الصحن للقبلة ، وخمسة قصيرة في كل من جناحي الصحن ، والثالث عشر مؤخر الصحن ، ولقد تحول مكان الصومعة في هذا التصميم من مكان العنزة الى حيث توجد الآن ...

ثلاثة عشر بلاطا من الجنوب الى الشمال وثمانية عشر من الشرق الى الغرب .

القرويين الثالثة 538 (1143 – 1144)

وعلى اثر مؤتمر ضم العلماء والخبراء استقر الراي على ان يوجه القاضي السيد عبد الحق ابن معيشة الى امير المسلمين علي بن يوسف ، ليوضح له ضرورة الزيادة من جديد في القرويين ، والقيام فيها باصلاحات

تقتضيها الحال ، وما كان من هذا الا ان اذن بذلك ، وهنا صدرت الاوامر بشراء كثير من الاملاك المجاورة لجنوب القرويين (جهة المحراب) ، وكذا طائفة من العقار الذي يوجد شرق القرويين وغربها ... وعلى العادة المتبعة فان الشراء كان بأحسن الاثمان ترضية للناس ، ولم تسلم السلطة من الاصطدام باشخاص رفضوا ان يسلموا اماكنهم للمصلحة العامة ، لكن العلماء اقتداء بعمل عمر بن الخطاب حينما زاد في المسجد الحرام اصدروا الفتوى بتقويم الامكنة ودفع الثمن لاصحابها ولو دون رضاهم . فكانت اهم جهة نالت القسط الاوفر في الزيادة هي جهة الجنوب فالى جانب جامع الجنائز وحجرة الخطيب ، زادوا ثلاثة بلاطات « فكملت عشر بلاطات من المحراب للصحن » كما يقول المؤرخون ، كما اضيف الى قاعة الصلاة من الجهة الغربية قوس الى كل بلاط من البلاطات فكانت المسافة التي نلاحظها مرتفعة عن الارض مما تحت النافذة الصغرى لصرية المفتي الى باب الشماعين ، كما اضيف اليه من الجهة الشرقية قوسان الى كل بلاط فكانت مسافة اخرى تنزل من جهة الخلوة الى باب المعدة : باب ابن عمر .

هذا الى اضافة قوسين الى كل بلاط من البلاطات الخمسة التي يتكون منها جناحا الصحن : الشرقي والغربي . ان المساحة التي زيدت هذه المرة تبلغ الفي ميتر مربع ...

وفي هذه المرة حول المحراب من اول موضع جعل فيه الى المكان الذي يوجد فيه اليوم ، فأصبحت القرويين من ستة عشر بلاطا افقية ، على واحد وعشرين بلاطا عمودية .

هذا هو هيكل القرويين ، ومن هنا شقت طريقا تكتسب كل مناسبة مرفقا من المرافق ، او ركنا من الاركان او اصلاحا من الاصلاحات فكل ملك ، وكل امير بل وكل واحد كان يحدب عليها ...

هل نقضت القرويين ؟

لقد لذ لبعض السادة المؤرخين عند التعرض للزيادة التي تمت على عهد المرابطين ان يقول : « ان القرويين نقضت وبنيت عوضها قرويين جديدة هي التي ما تزال الى الآن » فما هو الراي في هذا القول ؟

ليس بين ايدينا من المؤرخين الاقدمين من عبر في مرحلة من المراحل التي مرت بها القرويين بمادة « نقض » وكلهم يقتصر على ذكر « الزيادة » : زيادة كذا من البلاطات شرقا ، وكذا غربا ، وكذا شمالا ... فهل كانوا يتهيبون التعبير بالهدم ؟ لقد فعلوا ذلك عند ما وقع بالفعل في الصومعة على عهد الزناتيين ، وفي الجدار الشرقي على عهد بني مرين ، ومع انه عمل بسيط لا يذكر ازاء « نقض » المسجد جميعه ، فما الذي حدا بهؤلاء النقاد الى هذا الادعاء ؟ لعل الذي يدفع بهم الى اعتقاد ذلك محاولة التوفيق بين « الانيس » الذي يذكر ان « المساحة بين شرق القرويين الاولى وغربها كانت مائة وخمسين شبرا » وبين « الآس » التي تذكر ان « عدد الاقواس من شرقها الى غربها كانت اثني عشر قوسا » فهم ــ وقد وجدوا ان مساحة 150 شبرا في التصميم الحالي للقرويين (32 ميترا تقريبا) انما تشتمل على تسعة اقواس ــ يضطرون الى الاعتقاد بان تلك الاقواس الاثني عشر التي كانت تتوزع على « مائة وخمسين شبرا » قد نقضت لتشييد مكانها تسعة اقواس ، تتسع مسافة الاساطين بينها عن مسافة الاساطين الاولى ...

وشيء آخر يبرر النقض في نظر انصاره ، فان هذا الانسجام الظاهر في جوانب القرويين بين الاجزاء المشيدة ، ان دل على شيء فانما يدل على انها قامت دفعة واحدة لا أجزاء متلاحقة ... لكن من حقنا ان نتساءل : لماذا اختار هؤلاء المؤرخين ان يكون النقض تم على عهد المرابطين دون عهد الناصر الاموي ، وهو من نعرف من حيث الهواية المعمارية ؟ ومن حقنا كذلك ان نطالب بالمصدر الذي رجع اليه اولئك في ادعاء « النقض » .

اني اعتقد ان القرويين الاولى ظلت « نواة » دائمة للقرويين الثانية والثالثة كذلك . وليس معنى هذا انني اعتقد أن البناء الاول استمر دون ان يدخل عليه ترميم او اصلاح ، فتلك سنة جارية ، ولكن الشيء الذي اريد ان اثبت هو اقصاء فكرة الهدم ، ويؤيد هذا عندي ما يلاحظ احيانا من خلاف في المساحة بين بعض الاساطين ، خاصة في بعض جوانب النصف الشرقي ، وهناك شيء جديد ، ذلك ان الاختصاصيين من المعماريين الذين اتاحت لهم الفرصة مزاولة اشغال البناء في القرويين ، امكنهم ان يسجلوا آثار « التلاحم » من الزيادة الاولى والثانية ــ الامر الذي يدل على انهم كانوا يضيفون ولا يهدمون .

أي الزيادتين أكثر ؟

وما دمنا في الحديث عن الزيادتين ، فلنحاول هنا ان نضع النقط تحت الياء حول ادعاء آخر من بعض المؤلفين ... هناك في المؤرخين — وخاصة الفرنسيين منهم — من يذكر ان « اعظم جانب » من القرويين كان هو الجانب الذي بناه المرابطون ... ولعل هذه الفكرة نشأت عندهم من ان بعض المصادر القديمة عبرت هكذا عند الزيادة المرابطية : « فتمادى البناء في هذه الزيادة ، فكملت عشر بلاطات من صحنه الى قبلته ، فهم يفهمون من « كملت عشر بلاطات » ان المرابطين شيدوا عشر بلاطات ... وفعلا فلقد ترجم الفريد بيل « كملت » ب « شيدت » مما دفع الاستاذ بطيراس الى القول بأن « الجزء الاكبر » من المسجد بني على اللمتونيين ، ويقوي من ايمانهم بهذا استغراق مشروع الزيادة لمدة طويلة : تمادى البناء « مع أن الانيس يقول : « فكان الذي اجمع عليه رايهم من الزيادة ثلاثة بلاطات ومحرابا ومنبرا » مما يزيد في فهم المقصود من قول الآس : « كملت عشر بلاطات » ، فلقد بنت فاطمة اربعة ، وزاد الناصر ثلاثة في موضع الصحن القديم ، واضاف المرابطون ثلاثة ، تلك اذن « عشر بلاطات من صحنه الى قبلته » ، اعتقد ان الاستاذ بيل تساهل في الترجمة وان الاستاذ طيراس مسؤول بدوره عن ذلك ولعل هناك وراء هذا شيئا آخر ، فان ثلة من المؤرخين الفرنسيين طبعوا على أن يتحدثوا عن المغرب ايام المرابطين على انه مغرب الاوج ، وعلى انه ما كتب لعظمته ان تنهار الا عند ما استنام اولئك « البربر » الى هؤلاء « العرب » عنصر العتو والتخريب ... فهم — وقد الفوا ان يتحدثوا هكذا يعمدون الى القرويين نفسها فيقولون ان مسجد فاطمة ما كتب له ان يصبح جامعا بالمعنى الكامل الا أيام المرابطين ... ومع أننا نعلم ان الزيادة الاموية تناولت الجزء الشمالي كله وجزءا مهما من الناحيتين الغربية والشرقية (2516 ميتر) .

فهل حتى في بناء القرويين كان يطيب لهم ان ينهجوا سياسة « مغرب البربر » و « مغرب العرب » ؟



حديقة قصر البطحاء بفاس

وقد تحولت حجرات القصر الى مكاتب اللجان ، اثناء انعقاد مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو بفاس في اواخر يناير المنصرم



سعت الى عدة رسائل من بعض القراء والادباء ومحبي الثقافة والادب فى بلادنا ، يسالونني ايها عن بعض قضايا تمس حركتنا الادبية ، على اثر فصول ادبية كنت انشرها من حين الى حين فى جريدة « العلم » .

وكم كان يلذ لي أن اتعرض فى هذه الفصول لبعض المشاكل الادبية الدقيقة التي ارمي من ورائها الى اثارة النقاش والجدل الادبيين ، اللذين ينتفع بهما سوقنا الادبي . وقد قدر لبعض هذه الفصول أن تثير حركة او شبه حركة من النقد والردود والتعقيبات على صفحات نفس الجريدة ، ومع بعض رفاقي فى مجتمعاتنا واسمارنا الخاصة . وقد لمحت من خلال بعض هذه الرسائل عدم اطمئنان اصحابها لحقيقة بعض المعاني والافكار فى كتاباتي التي يغلب عليها الخيال المسرف ، او « التمويهات » فى دنيا الاحلام اللاهية المترفة بالالوان والظلال والانغام والطيوب كما يزعمون .

هؤلاء وغيرهم ، وياما اكثرهم تحت قباب البلاد العربية ، اليوم وقبل اليوم ، الذين تدهشهم كلمة « الخيال » فى شتى الفنون الحسية ، التي تعتمد اول ما تعتمد على الخيال ، الخيال الخصيب الحاد ، الذي يفتق فى جريانه ذرات مستحيل الوهم .

وقد يأتيك هؤلاء فى تعنت يتحدى ، بعدما عجزوا عن فهم خاطرة شعرية، او نغم مجنح فى قطعة موسيقية او تسريحة رمزية فى نحت ، او رسم ، او رقص ، طالبين منك شرح حقيقة تلك الخاطرة الشعرية ، او ذلك الرمز المنطوي على امتداد ظلام رسم ، او انحناءة نهد فى نحت . وقد تلبى رغبتهم مسرورا . فتطيل الحدس — ان كان هناك ما يدعو الى الحدس الحسي — فى هذا الشعر ، او فى ذلك النحت ، او فى تلك القطعة الموسيقية لاستخلاص الفكرة . واحيانا تعمد الى التقمص فى ذات الفنان لتحاول ان تعيش تجربته واحساسه اللذين اوحيا اليه بفكرة ما . حتى اذا انت لمست هذه الفكرة ، وشرحتها لهم على نور حدسك . اجابوك :

دعنا من هذا الخيال المسرف ، دلنا على الحقيقة الملموسة فيه . لانفع لنا من الخيال ان لم ينطو على الحقيقة . فاشفق من تجمد عواطفهم ، وخشونة ذوقهم وقصر خيالهم الذي يعجز عن اللحاق بهم الى سماوات الفن العلا . فقبل ان يلوموا الخيال ، فالاحرى بهم ان يلوموا الطبيعة التي بخلت عليهم بخيالها الصاعد الى ما ابعد من السماء ، والنجم ، والحلم الملتهبة فى موقد الشفق ، وبذوقها الخصيب فى شجيرات السرو التي تنتصب مع النسيم كفوارات اوراق خضر .

الا ليت هؤلاء عرفوا أن بين دنيا الفنان الخلاق ، ودنيا القارىء اختلافا كبيرا ، ومدى واسعا . ويشتد هذا الاختلاف ، ويتسع هذا المدى حتى ما بين القراء انفسهم نظرا لمستوى ثقافتهم ، وتكوينهم ، وطبائعهم ، واذواقهم ، وامزجتهم ، والتيارات الزمنية التي تحيط بهم ، كما هو الشأن ايضا فى جميع الفنانين الذين يختلفون عن بعضهم ، ويفترقون — من حيث الاتجاه ، والاداء ، والتكوين ، ودرجات العاطفة ، والاحساس ، والخيال ، وصفاء الروح ، وقوة النور فى النفس ، وما الى ذلك من المقومات الفنية — ليجتمعوا فى دائرة الفن السحرية الخيالية التي يندهش منها هؤلاء الذين يكيلون لها من اللوم ما يكيله ذلك الجاهل الى الشيء الذي يجهله كما فى المثل المشهور .

على أن اعداء الخيال ، والناقمين على الخيال ، معذورون لكونهم زيادة على ما اسلفت ، يجهلون الالهام المستنزل على الفنان ، والذي اسميه انا بـ « الاشراق الروحي » ساعة الخلق ؛ حيث العاطفة تكون فى هيجان، والاحساس فى حماس ، والخيال يسبق اوهام البرق والضوء . واذا العالم بما فيه عار من كل الحجب والاستار ، متجرد من مقاييس الزمن ، ومكاييل الابعاد،

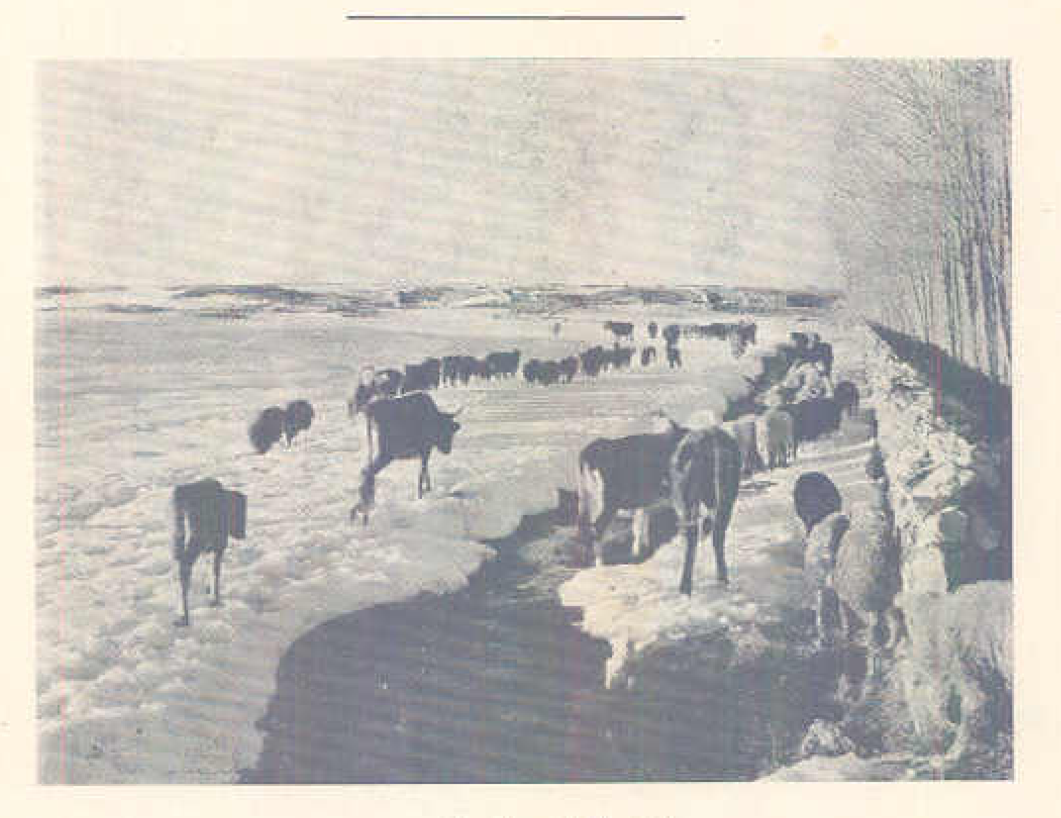
وموازين الاحجام . كل ما يحويه حتى الاشياء الدقيقة ـ التي يعجز عن رؤيتها اكبر الميكروسكوبات الالكترونية في اكبر المراصد ، واعجب المختبرات العقلية ـ تبرز عارية ، واضحة ، صافية ، مشرقة وقت هذا الهيجان الروحي الذي يستولي على الفنان فيعتقه من سلاسل ذاته الارضية فيرى اشياء لا يمكن ان يشاركه في رؤيتها كل الناس ، وينفعلوا بها كما ينفعل هو بها ويعيشها .

والذين تمرسوا بالالهام من ادباء وشعراء وموسيقيين ونحاتين وراقصين وغيرهم ، يعلمون هذه الغيبوبة الروحية التي تكشف عن عوالم من الجمال ، والمتعة ، والنشوة الهاجعة فينا ، وفيما حولنا . ولا يطيب لهم الاستمتاع بلذة هذه الغيبوبة الا اذا هم شاركوا غيرهم فيها ممن لا يستطيعون رؤية هذه العوالم المحجوبة عن بصائرهم . اذن لا لوم على اعداء الخيال ولا تثريب . فالنسر المرفرف في رفيف النجوم، لا يثقله ظله الملقى على الارض ، والزهرة عندما تطلق عبيرها عفوا ، لا تفكر فيمن سيستنشق هذا العبير . وهو في طريقه صاعدا هابطا الى الحقول والجداول والجبال .

مجدوا معي الخيال . مجدوه في كل ما تنظرون ، وتلمسون ، وتحسون ، وتسمعون ، وتحدسون .

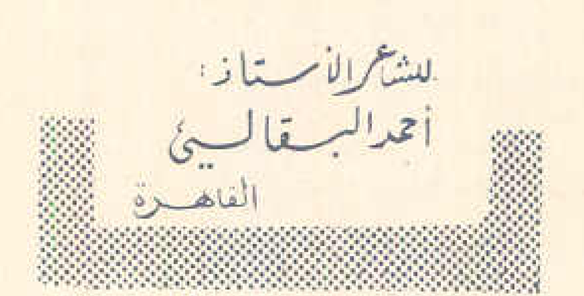
مجدوه في قطرة المطر التي تحمل اليكم اسرار البحار ، والجبال ، والزهور ، وعروق الفدران ، وانباض الصخور ، وخفقات الجذوع ، وجذور الظلال . وهي فيما تحمل أسرار انما تحمل اليكم اشواقكم ونزعاتكم . وارهفوا اذانكم لسماع هذه الاسرار العجيبة التي تحدثكم من بعيد الازمان ، وشاسع الآفاق، بلسان من ذوب السحر الحلو . واملأوا بجمال هذا الحديث نفوسكم . لانكم قبل ان تستووا بشرا ، كانت ذواتكم موزعة مبثوثة في هذه الآفاق التي تطلع عليكم . وما هذه الآفاق الا انتم انفسكم على اشكال وصور والوان اخرى . فشعورنا بالشعاع الذي يجوب الكون، وكل ما في الكون ، هو دليل على وجود احساسنا في كل شيء يتالف منه الكون ، حتى النسيم الحالم بالعاصفة بين الاغصان . فلنفتش عن حقيقة انفسنا واشواقها ونزعاتها واحلامها .

لنفتش عنها في دروب الحياة . ولنجنح الى هذه الدروب على رجوحة الخيال .



الشتاء في الاطلس المتوسط





اليك ... يا ابي ..
والى المؤمنين في الارض جميعا ...
اهدي هذه الاغفاءة .

اطبق الليل جفنه ، وعوى الذئب ، ونامت عيونها الغـــزلان
وتغطى بكمه الورد ، والتفت بأوراقها الغصـون اللـــدان
وغفا في قلوبها لؤلؤ الطل ... وماتت في نفسها الاحـــزان
وتغطى بريشه الطائر المقرور ، وارتاح جفنه الوسنـــان
واستجنت فراخه بجناحيه ، فقرت عينا بها الاوكـان ...
واظل الظلام اجنحة الطير ، واخفى انينـه الكـــروان
وخبا في محاجر النجم نور وانطفى تحت جفنه لمعـــان
وتلاشت في ظلمة الليل اشجاني ، كما لو اظلها الطوفـــان
وأصم النعاس حس الندامي ، وانطفت في المواقد النيـــران
اغمضت اعين الاساقف في الدير ، وذابت شموعها الصلبـان
وخبت في المحارب الانور الصفر ، وناحت في المعبد الاوتـان
هجعت كل درة من ثرى الارض ، وهدت كيانها الازمـــان

*

مثلما يجمد الغدير ، ويستولي على يقظة الحجا النسيان ..
ويئن المحيط في وحشة الليل ، وتغفو في لجه الحيتـــان
وتلج القفار في الصمت ... والصحراء ينهي بشاطئيها الزمان
عندما تصمت الحياة ، فلا ينطق فيها للكائنـات لســـان !

وتصلي امام خالقها الاملاك طرا ... وتخشع الاكـــــوان
وينادي الرحمن افئدة الحيرى ، باني .. أني انا الرحمن ..
عميت تلكم الخليقة عني ، وانا في عيونهـــــا انســـــان !
عميت أعين الخليقة عن ابصار نوري .. وافلح الشيطـــــان

❊

يا بني آدم اذا حار في البحث عن اللــه بينكـم انســـــان
فاعلموا ان ذلكم قد رآني فهو في سر رؤيتـــي حيـــــران
أشربت روحه الهداية ، واحتل قرارات نفسه الايمـــــان !
انما هو نشوة تغمر الروح ، فيسمو في ظلها الوجـــــدان
جل ان تدرك العقول له كنها ، فما هو شرعـة او بيـــــان

❊

واتى الليل ساحبا ذيله الاغبر ... والكون حالم وسنـــــان
وسفوح الجبال تسبح في الغيم ، وللثلج فوقها تيجـــــان
والضباب الرقيق يعلو مجاري الماء ، يلوي كانـه تعبـــــان
تبسط الشمس فوقه نورها الزاهي وتجري من تحته الغدران
واستفاقت بين الكؤوس الندامي ، فاذا الكل ظامىء عطشان
فاسقنيها لظي، وشعشع بها نفسي، ودعما يجري عليه اللسان
لا تحاول افهامي الخمر .. انى لي ؟ فحسبي اني بها نشوان !



جبل مشليفن الذي تكسوه الثلوج في فصل الشتاء ،
وهو مركز لرياضة الانزلاق على الثلج



العصر النووي

للأستاذ : المهدي البرجالي

لم يكن الحديث عن الذرة والطاقة الذرية جديدا على اذهان الباحثين والاختصاصيين فى فروع المعرفة المرتبطة بالفيزياء وما اليها ، ولكنه كان من المستغلقات المبهمة بالنسبة الى الجمهور السادر فى هذه البلاد او تلك ، بدون استثناء المجتمعات المتقدمة ايضا ، على ان الحرب العالمية الثانية وما تمخضت عنه من تقربات فى ميادين العلم والفكر والسياسة كانت فى نهايتها ايذانا بانبلاج فجر العصر الذري الذي يتميز بما اضحى للذرة فيه من مقام فى تفكير العلماء والجمهور على السواء ، مع اعتبار التفاوت طبعا فى نوعية التفكير ونتائجه ، كان ذلك يوم تفجرت اول مقذوفة ذرية ، واحدثت تأثيراتها المهولة فى اليابان سنة 1945 .

وفى هذه الحقبة العابرة ، تطورت الابحاث المتعلقة بالذرة ، وتشعبت اهدافها وتعددت اشكال الانجازات العلمية التي تنبثق عنها ، فكان من ذلك هذا الجو المثقل بالنذر الرهيبة التي تتوعد الحياة على سطح الكوكب بالاندثار ، وتترع بالتبعية لذلك، ضمير الانسان بمختلف الصور المروعة والتخيلات المثيرة المستفزة ، فهل هذا كل ما كان يتوكبه (هان) و (شتراسمان) و (ليزميتز) و (فريش) من انجاز وشرح عملية الانفلاق الاول ؟ ام ان هناك مؤثرات اخرى كان لها ضلع فى ذلك ؟ وسواء كان هذا او عكسه فان الطاقة الاشعاعية الذرية او الهيدروجينية او الكوبالتية قد اصبحت بما لها من فعالية تدميرية هائلة اضخم وسيلة للاعفاء على مظاهر الحياة التي تغمر هذا الكوكب الآهل ، فقد انقضى وقت غير يسير منذ ان اعلن احد العلماء الاثبات فى موضوع الاشعاع النووي ، ان عشرة قنابل على اساس كوبالتي ، كفيلة باحداث اكبر مفعول تحطيمي عرفه العالم ، فما السر فى هذا ؟ لماذا لم يمكن ان تسفر الابحاث النووية عن نتائج غير هذه النتائج المهولة الرهيبة ؟

الواقع اننا ونحن فى مطلع العصر النووي ، نلحظ ان الجانب السلمي من هذا الاكتشاف لا يعد فى شيء امام التقدم السريع والمدهش الذي انجز بالنسبة الى الجانب الحربي التدميري ، بل ان هناك مجالا للقول بان التطبيقات السلمية للطاقة النووية لما تعد — اذا قارناها بالمنجزات الحربية الاشعاعية — دور الاحتضان الاول ، اما علة ذلك فتؤول — حسبما يبدو — الى الاصول الآتية :

1) طبيعة الظروف التي حاقت بالانفلاق الذري الاول ، وقد كان ذلك يوم نجح العلما (يوم 6 يناير 1939) فى تجزئة ذرة الاورانيوم ، ونذر الحرب ساعتئذ تخيم على الافق بالصورة التي لم يكن معها امام الدول المعرضة للحرب الا ان تستحث علماءها وخبراءها على توجيه طاقتهم الاستكشافية والابداعية توجيها يتلاءم واهداف العراك المترقب حينذاك .

2) حقائق الجو السياسي العام الذي يسود عالم ما بعد الحرب ، فقد تكشفت حرب سنة 1939 عن كثير من الحقائق البارزة ، كان ابرزها هذا التصادم المهول بين النظريات والمذاهب ذات الطابع السياسي والاقتصادي والمبدئي ، وقد استتبع هذا ان ذر قرن الارتياب والتوجس ، ونمت فروعها مرتقة صفو العلائق العامة بين التكتلات الدولية المتجابهة ، ولم يكن هناك مجال — بعد ذلك — لسيادة روح السلام التي كان من المفروض انها تساعد على الاتجاه اتجاها مسالما فى حقل التجارب النووية على اختلاف اشكالها فما مدلول كل هذا ؟ .

انه لا يفعل الا ان يذكرنا مرة اخرى بمدى هذا التفاوت الواقع بين تقدم الانسان في الحقل المادي ودرجة ارتقائه في المجال الروحي والادبي ، ان المعضلات الدقيقة التي تثيرها قضية الانشطار النووي ليست الا تاكيدا جديدا لهذه الحقيقة المسلمة ، فهل يعني هذا اننا نوشك ان نكون على شفير الهوة البعيدة القعر ، تلك التي ينذر بها الجميع ويحذرها الكل ؟ .

ان الجوانب الظاهرية من الوضع العالمي الراهن قد تثبت ذلك ، بل وتؤكده تاكيدا مطلقا ، غير ان طبيعة المخاطر التي يشخصها الاشعاع النووي وما يفترض لها من شمول وعموم ، قد ساعد على بروز نوع من رد الفعل الانساني مضاد لهذه الاتجاهات الانتحارية الغريبة في استغلال الطاقة المنبثقة عن عملية الانشطار النووي ، فلا يزال بعضنا يذكر قصة ذلك الشخص الذي قذف بنفسه من شاهق ، حتى يضع حدا للآلام النفسية المبرحة التي كان يشعره بها وجود القذائف ذات الطبيعة الذرية ، تلك في الواقع حادثة فردية بسيطة قد يكون باعثها شيئا آخر غير التخوف الطبيعي المعقول ، ولكنها ــ رغم ذلك كانت مثالا بسيطا لما يمكن ان تحدثه قوة الذرة التدميرية في اعصاب الانسان من اهتزازات عنيفة وحادة . وقد تعاقبت بعد ذلك سنون عدة ، اكتسى فيها هذا الانفعال الفردي صبغة جعلته الآن يبدو في شكل معارضة انسانية جماعية ضد هذا التهوس ، والكلف الشديد بالجانب التدميري فقط من الطاقة الاشعاعية ، وقد تطورت هذه المعارضة تطورا حميدا ، اكره الدول الذرية الكبرى على ان تضع لها اعتبارا اي اعتبار ، وكان من نتائج ذلك ان بدرت في المحيط الدولي صور من الحرب السيكولوجية ــ الدعائية المنظمة ، استنفد فيها المسؤولون في المعسكرين المتعارضين كل الجهد في استثمار هذه الارادة الانسانية الجماعية المضادة للروح التدميرية التي تخطو على اساسها تجارب المنجزات ذات الطبيعة الاشعاعية .

ومن هنا تبدو الاصول (السياسية) الدولية لقضة نزع السلاح التي هي في جذورها الاولى قديمة قدم الاسلحة الحديثة ذاتها ، ولكنها في صورتها الآنية تبدو ــ لما حاطها من ملابسات دولية دقيقة ، اكثر حدة واشد الحاحا ، وخاصة بعد ما اصبحت مشكلة التسلح الاشعاعي في عالم اليوم بهذا القدر من التشعب والتعقد.

وآخر فصل في القصة السلسلة الطويلة من المخابرات الدولية الهادفة الى اعداد الجو الدولي الموائم لعقد مؤتمر على اعلى مستوى لبحث السبل الكفيلة بتحقيق مشروع عملي لنزع السلاح ، وبالتخصيص ، تلك الانماط التي تندرج ضمن وسائل التدمير ذات الطبيعة الحرارية ــ الاشعاعية ، وقد استطالت المحاولات التمهيدية ، وامتد بها الوقت ، بالقدر الذي اصبحت معه سبيلا مفضلة لغزو الراي العام العالمي في سباق الحرب السيكولوجية ــ الدعائية المستحرة بين الجانبين المتناظرين .

على انه ليس من الواقعية في شيء تجاهل العوامل القسرية التي تؤثر ــ من وجهة النظر العامة ــ في سير المحادثات وتمتد بها هذه الفترات المتطاولة المتتالية ؟ فالاوضاع المعقدة ــ سواء من الجانب العلمي او السياسي ــ تلك التي خلقها استحرار التنافس في استحداث واستعمال الاجهزة النووية ، يمكن ان تعين على تحقيق انفراج مسرحي مباغت ، والامر هنا لا يتصل بالاختلافات الشكلية بين وجهات النظر في الموضوع ، رغم انها متباينة ومتجافية على خط مستقيم، بل ان مناط الصعوبة هو في طبيعة السلاح الاشعاعي نفسه ، مع اعتبار نوعية المشاكل التي تباعد الشقة بين هذه التكتلات السياسية الدولية القائمة اليوم ، فقد اصبح من المعطيات الستراتيجية الاولية ، ان التبريز في ابتداع واستعمال احدث فضائل الاسلحة ذات الاساس النووي ، قد يرجح في الثمان والاربعين ساعة الاولى جانب الظفر لمعسكر ما على حساب الآخر ، وقد اعان على تاكيد هذه الحتمية التيكنولوجية ظهور العصر (البيكوكبي) (1) الذي يتميز بما اضحت عليه (المسافة) فيه من تقلص واختزال غريبين ، هذا الى ان نوع التمايز الشاسع بين الاتجاهات السياسية والايديولجية يحيل الى ظنون تلك التاكيدات المتبادلة بامكانية تحقيق نظام (امني) يسوده مبدا التعايش المسالم ، او هذا ما يحزره المتشائمون على الاقل ، ومما يضاعف من نسبة المصاعب في هذا المضمار ، اتساع رقعة الدولتين النوويتين الكبيرتين وتنوع اقاليمهما الطبيعية (الولايات المتحدة : الاسكا والقطاع القطبي ــ الاتحاد السوفياتي : سيبريا وما اليها من الاقاليم القطبية الشمالية) مما يتعذر معه اجراء مراقبة دولية دقيقة ومطمئنة ، هذا عدا التطورات التقنية في ميدان الاختبارات التجريبية ، تلك التي امسى معها تتبع المخالفات امرا في غاية التلبك

1) Interplanétaire : بين الكواكب

والحراجة ، وبين هذا وذاك ، يزداد (جانوم) النواة ضغطا على اعصاب الانسان وصفاء ذهنه واستقرار نفسانيته ، بدرجة لم يعد معها جائزا ضمان السلام النفسي الضروري للافراد والجماعات في اي موقع من سطح الكوكب ، ومن هنا كان منشأ تلك الانتفاضات المحمومة التي تترامى الينا تراجيع احداثها بين الحين والآخر ، والتي اتخذت في نهاية المطاف شكل معارضة مستنيرة ذات اساس ـ علمي بشري ، حيث تجسمت في بيانات وملتمسات متنوعة منبثقة عن الاوساط العلمية ـ الذرية ذاتها ، وقصة العلماء الجرمانيين الخمسة والعشرين (2) الذين شجبوا في بيان مشترك الاتجاهات الحاضرة للتقدم النووي ـ هي من المع البينات على ذلك ، وقد كان من اعلام الذرة البريطانيين ان اتخذوا هم ايضا خطوة مماثلة ، وقد كان في مقدمتهم البروفسور اليكساندر هادو من المستشفى الملكي للسرطان ، والبروفسور جوزيف روتبلان من خبراء الفيزياء الذرية بجامعة لندن ، وقد احتذى حذو هؤلاء جميعا عدد من ابرز العلماء الذريين اليابانيين الذين قاموا بنفس البادرة وللهدف ذاته ، ومع كل هذا فالمعضلة المتاصلة عن الانحراف في استثمار الطاقة الاشعاعية ستبقى اسسها موجودة ، طالما انه لم ينشا هناك وعي ذري صحيح عند مختلف المجتمعات الانسانية .

ان مساعي الحكومة اليابانية بالاضافة الى مواقف المحافل العلمية في الولايات المتحدة والمانيا وابريطانيا وغيرها ، قد يجوز ان تكون ارهاصا يبشر بنشوء هذا الوعي ولكن عليه ـ اذا كان موجودا ـ ان ينضج وينمو ويتطور بالقدر الذي يصبح معه موقفا انسانيا صريحا يحمل المتلكين لمصادر هذه الطاقة الهائلة على مراجعة المشكلة مراجعة جدية ، الامر الذي ييسر معه التوصل الى قرارات نهائية وحاسمة .

فهل ستشهد السنوات القليلية المقبلة انتصار الضمير الانساني الواعي وميلاد العصر النووي السلمي؟ سؤال ستجيب عنه الايام .

---

2) كان من بينهم اربعة من المحرزين على جائزة نوبل وهم : (ماكي بورن) و (اوطوهاهن) و (ريتزهير بيورغ) و (فان لو) .



بحيرة (راس الماء) وسط غابات الارز ، وهي لا تبعد عن مصطاف ايفران الا ببضع كلمترات

الخوف والتربية الحديثة

للأستاذ
الحسين وجاج
تارودانت

ان علماء النفس غير متحدين فى اطلاق الغريزة على كلمة الخوف اطلاقا واضحا وصريحا ، ففي الوقت الذي نرى البعض منهم يتحدث عن الخوف كعنصر وجداني ملازم للغريزة التي هي الهرب لديه بدل الخوف ، بحيث لا يتكلم عن الخوف الا باعتباره الحالة الوجدانية التي تصحب الهرب ، نرى البعض الآخر يخالفه فى الراي فيطلق الغريزة على الخوف ، معتبرا الهرب سلوكا يرمي اليه الخوف عند وجود المثير .

واظن ان الراي الاخير اوضح من الراي الاول ، لكون الخوف هو الناحية الوجدانية المسيطرة على نواحي الغريزة وقت الهرب ، كما انه الموجود دائما عند ظهور المثير الخارجي ، اما الهرب فقد لا يحصل فى بعض الاحايين ، ويقع ذلك حينما يتوجه سلوكنا من انفعال الخوف الى الصراخ او البكاء او مجرد تغير احوال الجسم ، كاضطراب القلب واصفرار الوجه وارتعاد الفرائص وغير ذلك .

وعلى كل فنحن نرى الانسان ينفعل عند وجود بعض مثيرات الغرائز التي فطر عليها ، فيغريه هذا الانفعال باتخاذ سلوك يظنه ملجأ ومنقذا من تيار الغريزة الجارفة ، مثل غريزة الخوف التي تحتل المنزلة الثانية بين الغرائز ، والتي هي اقواها واشدها اثرا فى حياة الانسان ، اذ هو يرغمه على توقي الضار ويدعوه الى التخلص بكل وسيلة ممكنة من مواقف الخطر ، على ان الخوف متاصل فى الانسان ، يصحبه من ايام طفولته الى ان يسلمه الى القبر المخيف ، وهو يتصادم مع الغرائز الاخرى كالغضب وحب الاستطلاع والميل الجنسي ، فتمنعه من الظهور تماما ، او تكون على الاقل سببا فى التردد .

ولقد ازالت هذه المدنية الحديثة التي يتمتع بها الانسان فى الوقت الحاضر كثيرا من اسباب الخوف التي كان الانسان المتوحش يخاف منها من قبل ، ولكنها اوجدت اسبابا اخرى يخاف منها المتمدن رغم ثقافته الواسعة وتضلعه فى العلوم ، فهو يخاف من الامراض والميكروبات كما كان المتوحش يخاف من الرعد والبرق والكسوف والخسوف ونحوهما .

وعلى هذا فالخوف غريزة وراثية ملازمة للانسان فى مدنيته ووحشيته ، يخاف على نفسه وعلى ملكه ، ومن الاوهام التي يتخيلها كما يخاف من الفقر والصعلكة وكبر السن والموت ، فهو عبد لخوف حتى يزور اللحد المنتظر .

وقد يصل الخوف مرتبة الوجل المميت ، او يرغم الانسان على الجري السريع المؤذي بالحياة ، فهو الغريزة الوحيدة التي لها السيطرة التامة فى اثارة جميع الاجهزة الجسمية ، وحمل الانسان على القيام بما يعجز عن القيام به فى احواله العادية ، فهو يؤثر فى الانسان من ناحيتين ، اما ان يحمله على السكون والانزواء فتقل ضربات القلب ، واما ان يدعوه الى الحركة والجري فتزداد ، وفى تغلب كل ناحية على الاخرى ما لا تحمد عقباه من هلاك متوقع وموت محقق وكثيرا ما يفقد الانسان شعوره عند انبعاث غريزة الخوف ، فيعتريه جنون او مرض عصبي ، يجعله يخاف كل شيء مهما كان حقيرا غير ضار .

وتظهر آثار الخوف منذ عهد الطفولة الاولى ، واظن ان الذي يتمتع بلقب الابوة يشاهد طفله وهو فى الشهر الاول من حياته يرتعد نتيجة خوفه من بعض الاصوات المرتفعة ، كما يرى بعينيه على طفله آثار الخوف من الوقوع اذا لم يحمل بعناية تامة .

ولكن هذا الخوف سرعان ما يزول بعد بضعة اسابيع ، نظرا لما يشاهد على الطفل كذلك من حب شديد تعلوه رغبة مرحة فى ان تتناوله الايدي وتقذف به فى الهواء ثم تتلقاه منطلقا من القيود الخوفية المتينة ، اضف الى هذا ما يتمتع به من جراة فائقة واقدام غريب بعد ما يكبر ويصبح قادرا على المشي ، حينما يحب ان

يرمي بنفسه من فوق كرسي وغيره من الاشياء المرتفعة ارتفاعا نسبيا ، وعندما يكون الطفل بين الثالثة والرابعة من عمره تبلغ غريزة الخوف اشدها ، ويقوي خيال الطفل فيجني عليه بتصور مالا وجود له البتة من الاشباح المخيفة ، او بالخطأ في تاويل ما يرى في الظلمة او في الضوء القليل ، لقلة بروزه او بعده عن بؤرة الشعور .

والخوف الشديد الذي يظهره الاطفال من احدهم اذا تزيى بزي غريب مع كونهم يعرفون القائم بتلك المثيرات ، ويدركون ان غرضه في ذلك ليس الا محض لعب وتسلية ، يدلنا على ان الخوف فطري فيهم غير مكتسب .

على ان الخوف يضعف على مر الايام بمقدار كثرة تجارب الطفل وغزارة علمه بما يحيط به ، واذا كان من المستحيل مفارقة الخوف لبني الانسان ، فهو يتعدل ويتحول الى خلق نافع كالحزم والحذر واخذ الحيطة للمستقبل ، على ان احسن انواع الخوف ذلك النوع الناشيء عن ضمير حر ، وصادر عن نفس ابية تخاف القبح لقبحه ، بقطع النظر عما يترتب عليه من العقاب .

ولا يمكن ان يتصف بهذا النوع من الخوف وهو الخوف الادبي الا الانسان الذي يتمتع بنصيب وافر من الرقي الفردي والتقدم الاجتماعي ، لان هذا النوع لا ينتشر بين الافراد الا اذا اتسعت دائرة علومهم ومعارفهم ، وكثرت وسائل الامن لديهم ، وعرفوا ان هنالك قوانين يخضع لها المواطنون سواسية ، اذ ذاك يضعف الخوف الغرزي ، ويقوي الخوف الادبي الذي بانتشاره يقوي شأن المجتمع وتعلو منزلته الادبية .

وللخوف الغرزي مثيرات توقظه من سباته ، فالمسموعات والمبصرات الغريبة ، كثيرا ما تثير الخوف وتبعثه لغرابتها وقوتها ، مثل اصوات الريح المرتفعة ، وصوت الرعد ، كما ان بعض الاطفال يخافون من بعض المرئيات المنزلية كالقطط والكلاب اذا قربت منه ولو كانت لا تنوي الاضرار بهم ، وليست الظلمة أقل من المسموعات في اثارة الخوف في الانسان ، بل هي من الاشياء الغريبة التي توقظ هذه الغريزة ايضا .

وللاحلام المزعجة القدح المعلى في اثارة الخوف عند الطفل ، اذ كثيرا ما تستولي عليه هذه الاحلام التي ليست الا مجرد أفكاره المخيفة وذكرياته التي هي من آثار تجاربه الحقيقية او اوهامه الخيالية الحافلة بسير العفاريت .

وبما ان الخوف من الغرائز القوية يجب على المربين ان يعتنوا به اعتناء متزايدا ، وينظروا فيما اذا كان من الممكن استخدامه والانتفاع به في ميدان التربية والتعليم، كما يجب عليهم ان يعلموا ما اذا كان من الضروري تشجيع هذه الغريزة او اضعافها ، حتى تكون مفيدة للنشء الذي تتطلب منهم التربية الحديثة بذلمجهودات جبارة في سبيل اصلاحه وتدريبه وتثقيفه وتعديل غرائزه .

واذا كانت التربية الحديثة تحبذ دفع الخوف عن الطفل ، فمن واجب المربين — قبل تفكيرهم في الاسباب التي تزيله وتدفعه — ان يبحثوا في الخوف نفسه ، ليعلموا الخوف المضر فيجتهدوا في دفعه ، كما يجتهد الطبيب في دفع المرض عن المريض ، والخوف النافع فيشجعوه وينموه كعامل من عوامل التربية التي تصلح الانسان وتعينه على النجاح في اطوار حياته .

هذا وقد اتضح بعد البحث المتواصل ان الخوف الذي يضرهو الخوف الشديد الذي يتجدد عند رؤية الطفل اي شيء مخيف مهما كان صغيرا ، والذي يضعف الجسم ، ويحدث البلادة وسوء الاخلاق ، ويجعل الانسان شقيا وجبانا متقاعدا قليل المنفعة وضيع المنزلة الى غير ذلك من الاوصاف القبيحة التي تأبى التربية الحديثة انتشارها في القرن العشرين .

اما الخوف الضعيف المعقول ، والذي يدعو الى الرزانة والتبصر في الامور ، فهو خلاف الخوف الشديد، يجب تشجيعه حينما يبلغ الطفل السن الكافية والمنزلة العقلية المناسبة ، كما تشجع في الطفل غريزة حب الاطلاع .

هذا واول ما يجب على المربين الذين ينشدون اسباب دفع الخوف عن الطفل ، ان لا يلجأوا الى تخويف الاطفال الا عند الضرورة ، ثم اذا اضطروا الى التخويف يجب عليهم ان يرعوا ما استطاعوا في ازالته ، وايجاد روح الثقة في نفوس الاطفال حتى لا يطول عليهم الامد فينشأوا على الجبن والذلة .

ومن الاسباب المعينة في دفع الخوف عن الطفل ، فرض مراقبة صارمة على الاطفال ، حتى لا يختلطوا بمن طبعوا على الخوف والوجل ، لتاثرهم السريع بقرنائهم الذين يخافون ، فكما يخاف الطفل عند رؤية الاشياء المخيفة او عند تخيلها يخاف ايضا عند ما يخاف صديقه الذي راى وتخيل احد المثيرات .

هذا ومن الخطأ الفاحش ـ ونحن نحاول دفع الخوف عن الطفل ـ ان نردعه في كل مناسبة او نسخر من اعماله او نتهكم بمجهوداته ، خصوصا اذا كان يصدر منا كل هذا على مراى ومسمع من زملائه واصدقائه ، اذ ليست السخرية والتهكم والازدراء الا سلاحا يتسلح به من يحب قتل شخصية يحتقرها بطريق غير مباشرة ، والتربية الحديثة تحاول كل من يريد اصلاح الافراد بهذه الوسيلة الرذيلة ، وتطلب منه ان يصلح بالتي هي احسن .

ولا يجمل بنا كذلك ان نقص على الاطفال الحكايات الخرافية التي يرد فيها ذكر العفاريت والجان واعمالهم الغريبة ، كي لا يتجه خيالهم الى ناحية مخيفة ضارة بهم ، بل الواجب علينا بدل هذا ، ان نقص عليهم قصص الابطال والشجعان ، ونسرد عليهم سير الاولاد المستقيمين الذين يثابرون على اعمالهم الحسنة، لتبعث فيهم روح المنافسة الشخصية وتدعوهم الى الاقدام .

كما لا يجمل بنا ان نتغاضى عن اقوال الطفل ، او الا نعبأ بما يظهره من الخوف ، وما يقصه علينا من خيالاته واوهامه ، بل ينبغي لنا ان نتفاهم معه ، ونحاول ان نقنعه بانه مخطىء فيما ظنه مخيفا ، ثم نجتهد في ازالة كل ما يكون سببا في خوفه ، بان نعرض عليه ذلك الشيء او نحرضه على الذهاب اليه او رؤيته وغير ذلك مما هو ادعى الى زوال الخوف عنه ، اذ مما لا شك فيه ان من الاسباب التي تدعو الى زوال الخوف من الاشياء المخيفة ، ان يقرب الانسان منها ويحاول لمسها ويسلك معها عكس الطريق الذي كان يسلكه من قبل، حتى تتغير وجهة نظره نحوها ، وتتكون عنده عادة الاقبال عليها ، فيزول الخوف منها وتصير عنده كالاشياء المالوفة التي لا تزعج ولا تثير الخوف .

وافضل طريقة لتبديد مثيرات الخوف عن الطفل، هي تلك الطريقة التي سلكها (روسو) حينما قام بمحاربة الخوف عن طفله : اميل . تلك الطريقة كلها ممثلة في عرض الاشياء الغريبة تدريجيا على الطفل ليالفها ويشب جسورا لا يخاف .

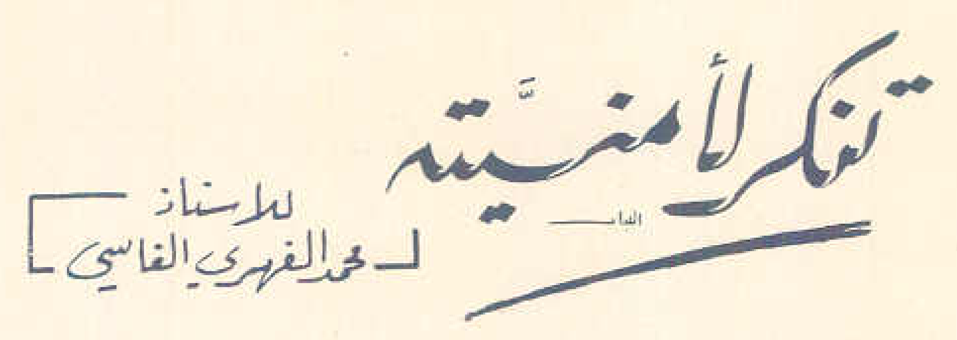
على ان المربين في الوقت الذي ينادون بطرد الخوف عن الطفل ، ينادون كذلك بتعديله حتى يكون صالحا للانسان ، اذ كثيرا ما يحمله على النجاح في اعماله خوفه من الم الفشل ، او من تهكم الاعداء الذين يودون الايقاع به في نفسه واخلاقه وكرامته .

كما ان اخلاقه قد تكون عرضة للفساد اذا لم تكن محصنة بالخوف المعتدل ، ذلك الخوف الذي ملأ المصلحين غيرة على اممهم ، وجعلهم يتحملون كل مكروه في تنفيذ اصلاحات يرونها مناسبة ومفيدة للانسانية وضامنة كرامتها وكيانها .

لهذا يجب على المدرسة ان تبدد مثيرات الخوف الغرزي ، وتقوي الخوف الخلقي النافع ، كما يجب على المدرسين ان يعلموا ان ارهاب الاطفال من اكبر الاسباب التي تؤدي الى قطع العلاقات الروحية التي ينادي المربون بوجوب ايجادها بين المدرس والتلاميذ . وعليهم ان يعلموا ان الخوف ـ رغم استعماله في العصر القديم كوسيلة يستمر بها انتباه التلاميذ ـ وما يزال من اشد العوائق التي تعوق الاطفال عن ادراكهم للحقائق من جهة ، وابراز ميولهم ومواهبهم من جهة اخرى .

لهذا يرى التعليم الحديث وجوب طرده عن الطفل وتعويضه بمختلف المشوقات التي تجلب انتباه التلاميذ ، وتجعل التعليم جذابا ومحبوبا .

تارودانت الحسين وجاج



نشا في جو كهربه الاستعمار برقابته الخانقـــة وظلمه القاسي ، فلم ير خلال طفولته بصيصا من ذلك النور القوي الذي يملأ القلوب سعادة ، ويذيب ما علاها من كدر .

ارضعته امه لبنا شابه الياس والقنوط ، وهدهدته على انغام حزينة كثيرا ما خالطها الانين ، وكثيرا مـــا قاطعتها الزفرات على سيد الاسرة المعتقل ، ونـام في مهد بلله دمع امه الحزين ، واستيقظ على ولولة النسوة عند ما اتى الجند لتفتيش بيت الجار . ولعب في فناء البيت ، لكن لعبه لم يكن كلعب اطفال الدنيا ، بل كان لعبا يقاطعه مجيء امه الخائفة عليه كلما سمعت وقوع اقدام الجند قرب باب المنزل ، فتاخذه معها الى غرفة وتغلق عليها الباب ، فما تذوق لذة اللعب المتواصل مرة في حياته ، فهو لم يلعب الا خائفا .

وبلغ سن الدراسة ، والتحق بالمدرسة ، ومر في الشوارع والاسواق ، وسمع الناس يتحدثون عن حالة البلاد وعن حقوقها المهضومة ، واحب ان يفهم فلـــم تعوزه الفرص .

راى شرطة اجنبية شاكية السلاح تختــــرق شوارع المدينة وهي تسوق امامها مواطنين مكتوفي الايدي واخذ فكره يتفتح يوما بعد يوم ، ويرغـب في التطلع والمزيد من المعرفة . لم يكن يبحث عن اسرار الطبيعة في حشراتها ونباتاتها ... كانت ضالته الكبرى ان يجد تعليلا لوجوده : فهو يبحث عن نفسه اكثر مما يبحث عما يحيط به .

واخذت ثقافته تتسع يوما بعد يوم ، وامتدت معرفته الى ما وراء اسوار مدينته ، فلم ير الا البؤس والعبودية ، ثم امتدت الى ما وراء حدود بلاده ، فسمع انغاما جديدة ما عهدها من قبل ، انغاما اهتزت لهـــا مشاعره وطربت لها نفسه ، انغاما تشيد بالحريــــة والسيادة تنبعث من قلوب قوم موفوري الكرامة ، لهم حقوق ، وعليهم واجبات . وتسمع من وراء الحدود الشائكة الى هؤلاء القوم فاحب ان يكون مثلهم ، وان يتذوق لذة هذه الحرية وهذه السيادة التي يتغنون بها.

وانفتح عقله لافكار جديدة استوحاها مما قرا لمفكري الانسانية جمعاء ، وتبلورت هذه الافكار في ذهنه في فلسفة جديدة ، وجدت في خياله المضطرب ميدانا شاسع الاطراف ، فاخذ يربيها ويرعاهـا بعنايـة ، ويقدسها ويخاف عليها ان يدنسها الواقع المر الـذي يعيش فيه .

وما فتئت تلك الافكار تحوم في راســــه الى ان استحالت الى خطوط واضحة :

(اريد ان اكون حرا موفور الكرامة) :

ثم خرج الى الشارع فراى السخط باديا على جميع الوجوه ، فعلم ان الزوبعة التي كان راسه ميدانا لها ، قد امتد مفعولها الى رؤوس قومه جميعا .

واخذ الاضطراب ينفذ الى جميع الميادين ، وصار الموقف حرجا في البلاد ، واختلت مقاييس المسيطرين ، وتعطلت دواليب الادارة الاستعمارية ، وتجلى العجز في كل اعمالها . فوقف صاحبنا مندهشا لما يحدث ولما يرى ويسمع . كيف يمكن ان يكون هذا ؟ كيف يمكن ان تتعطل هذه الآلة الضخمة التي كانت تستطيع الى زمن قريب ان تحصي على المواطنين انفاسهم ، وان تعلم ما يجول في ضمائرهم . الاقامة العامة ... ! الاقامة العامة ... !!!

رددها مرات ثم قهقه ساخرا ومستغرقا في آن واحد عند تلفظه بهذا الاسم المركب واصبح بعد ذلك كلما اتسعت نقطة الضعف في هذا النظام ازداد ايمانا بمبدئه وغيرة على حقوقه ، وكانه في عراك مباشر مع اولائك القوم الذين فرضوا وجودهم فرضا عليه وعلى امته .

رجع الى المنزل وهو يتلذذ ، معيدا الى ذاكرته ما التقطه من اخبار عن الحركة التحريرية في البلاد ، والقى بنفسه على اقرب فراش اليه ، وانبسط على ظهره ، وشعر في هذه اللحظة بعياء يدب في جسده ، انبسط . وكأنه كان على كاهله عبء ثقيل يريد ان يريح منه نفسه ، وتنفس الصعداء ، واغمض عينيه برهة ، ثم فتحها باسما ، وارتسم على محياه من الغبطة ، ان البلاد امست بين قاب قوسين او ادنى من تحقيق مبتغاها الاسمى ، فكيف لا يغتبط لهذا الخبر الكريم وينسى ما به من عياء ؟ غمرته نشوة النصر فوقف يعبر الغرفة بين ذهاب واياب ، والافكار تتلاطم في راسه انه يعيش امنيته وهي لم تتحقق بعد ... وما لبث ان سمع زغاريد النسوة تأتيه من شرفة، تلك الشرفة التي كان يأتيه من خلالها عويلهن كلما اتت الشرطة لتفتيش منزل في الحي او لالقاء القبض على احد الجيران .

فاسرع اليها ليرى ... راى الناس يتبادلون التهاني ، والفرح يغمر قلوبهم ، كانت الشمس مشرقة، والنسيم يهب عليلا ، واذا رفعت نظرك الى السماء وجدت اديمها الازرق قد وشته هنا سحابات وردية اللون ، لقد تحققت الامنية المنشودة وصارت واقعا ملموسا بعد ان كانت سرابا . وطغت الفرحة على المواطنين ، فاحالوا ايامهم الى اعياد يتنقلون بينها من عيد الى عيد .

واخيرا ، انتهت الحفلات والاعياد ، واستانف الناس حياتهم العادية .

لكن الانسان اعتاد التطبع فلا يلبث ان يجد نفسه تحت رحمة عوامل خارجية تعكر صفو حياته اذا تنكر لعادته ، شأن ساكن الوادي الذي اراد ان يتسلق الجبل لكي يستنشق الهواء النقي ، ويستبدل مناخا بمناخ ، ويعيد الى نفسه ما فقده من نشاط وحيوية ، لكن كلما ارتفع في تسلق الجبل ، شعر بتكاثر خفقان قلبه . ودوران راسه، نتيجة الهواء النقي الذي لم يعتد تنفسه، فلا يدري هل اصاب ام اخطا عند ما فكر في صعود الجبل ... ان عليه اذا اراد ان يستفيد من نقاء الجو ، ان يتحمل هذه المرحلة باناة الى ان يتطبع بالمناخ الجديد

وجد صاحبنا نفسه في موقف شبيه بهذا عند ما اشرقت شمس الحرية على البلاد ، فاختلط لديه الحابل بالنابل ، ولم يعد يدري هل يعيش خياله الذي طالما احاطه بستايته ، ام واقعه الملموس الذي كثيرا ما احب ان يحل محله واقعا جديدا يصنعه لنفسه ، ويصبغ عليه حللا من خيال . بقي شارد النفس عندما لمس امنيته على سطح الارض وتحت سماء بلاده : لقد فرغ راسه بين عشية وضحاها من تلك الصور الجميلة التي كان يعلل بها نفسه ويستمد منها قوته في عراكه من اجل هدفه الاسمى ، واغتبط اغتباطا صبيانيا عند ما تحققت المعجزة الكبرى ، واهتزت جوانحه طربا لها وترحيبا بها .

لكن لما بلغ هذه المرحلة انقلبت نفسانيته راسا على عقب . عهدنا فيه النشاط المتوقد ، والعمل المسترسل، عهدنا فيه الرجل الذي لا يخشى الصعاب ، والوثوب في وجه الاخطار ، لقد ابتلع الماضي كل هذا ، ولم يبق منه الا شاب ضعيف الايمان قليل العمل متقاطعه ، لا يقبل على شيء الا ليمله . لقد اضاع رسوم ضالته وهام على وجهه ، انه ما زال سابحا في سماء افكاره بين السحاب المتورد اللون، حيث كانت تعيش فيما مضى الامنية التي عمل من اجلها ، فكان يستوحي منها قوته ونشاطه . لقد نزلت امنيته الى الارض .

لقد تنكر البطل لامنيته بعد ان اصبحت في متناول يديه .



نظرات

للأستاذ
محمد أحمد الأمراني

ان من يلقي اقل نظرة على مجتمعنا المغربي يراه زاخرا بالمشاكل الاجتماعية المعقدة ، ومن جملة هذه المشاكل مشكلة الزواج ، فهو كان عندنا لا يخضع لاي قانون محدد او تشريع مرسوم او رقابة واعية ، او بتعبير ادق لا يتمشى مع الروح الاسلامية فى فطرتها ونبل غايتها ، ولا يساير تطورات العصر الحديث والانقلابات العلمية التي غيرت كثيرا من مفاهيمه ، وادخلت عليه تحويرا وتغييرا طبقا لناموس تجدد المصالح الفردية والاجتماعية ، وحسب الاخطار التي اصبحت تحدق بهذه المشكلة المتعصية ، والنتائج الوخيمة التي تحدث من جراء عدم تفهم السواد الاعظم من افراد محيطنا لاسس الزواج ونظمه ومقاصده .

فالزواج عندنا لا يعدو ان يكون متعة واداة تفرخ الجنس الانساني وترمي به الى معامع المجتمع ، غير مسلح باية وسيلة من وسائل الدفاع ، وغير متوفر على اية مناعة تجنبه الصدمات وتضمن له النمو والغذاء والكساء والتعليم والعلاج ، فى جو مشجع ، وبيئة حافزة على التوثب والاندفاع ، تساعده على التمتع بمواهبه الفطرية واستعداداته العقلية الخ ...

ان الزواج رابطة مقدسة وحياة مشتركة وآصرة روحية وعلاقة وجدانية ، سداها المودة والتضحية ، ولحمتها التعاون لبناء عش الزوجية المثالية ... قبل ان تكون دوافعه العلاقة الجنسية وان كان لها دور خطير فى تقوية اسسه او انفصام عراه .

ولهذا فان قانون الاحوال الشخصية الذي سنته لجنة تدوين الفقه الاسلامي جاء معبرا عن رغبات مصلحي هذه الامة ، ومترجما لآمال المفكرين منها فى ارساء دعائم الاسرة المغربية على اسس متينة وقواعد راسخة ، من الاستقرار والطمانينة والسعادة والهناء ، كما ارجع للشريعة الاسلامية مقاصدها النبيلة وغايتها المثلى فى الزواج .

الا ان هناك ملاحظة يجب ان يتنبه لها شبابنا بالخصوص ، وهي ان المقبل على الزواج يجب الا يكون الباعث له عليه هو اشباع الرغبات الجسدية والنزوات العاطفية فقط ، بل يجب ان يفكر تفكيرا بعيدا فى مستقبل الاطفال الذين سينجبهم ، وهل لديه الامكانيات المادية والمعنوية للقيام بهذه المسئولية الخطيرة التي تتطلب تفكيرا عميقا فى مصالح الاسرة ومصالح المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه .

ويظن بعض المقبلين على الزواج ، ان التفكير فى مستقبل الطفل يبدا حينما يرى الوليد نور هذا الوجود والحقيقة ان مصلحة الطفل يجب ان يحسب لها الحساب يوم عقد القران .

ولهذا يجب سن قانون صارم يفرض على المتزوج ان يدلي بشهادة طبية تشهد بعدم اصابته باي مرض معد ، ولا سيما الامراض التناسلية الخطيرة التي تنتقل عدواها الى الزوجية بسرعة ، وتؤثر على الجنين تاثيرا مباشرا ، كما يجب على القاضي ان يصدر اوامره — التي يكون قد تلقاها من وزارة العدل — الى العدول بالا يعقدوا اي صك من صكوك النكاح ، الا بعد ادلاء الخاطب بتلك الشهادة من عند طبيب وزارة العدل المختص ، وهذا القانون يطبق على المخطوبة ايضا .

وحيث ان السواد الاعظم من الشعب عاجز عن دفع اجرة الفحص الطبي ، فيجب مد يد المساعدة لمن اراد ذلك باجراء فحص مجاني فى المستشفى العمومي بعد الادلاء بورقة خاصة من قبل قاضي المحكمة .

ولا يخفى ما فى سن هذا القانون من فوائد صحية تعود على الزوجين ونسلهما وبالتالي على المجتمع الذي يعيشان بين احضانه .

والذي حفزني الى اقتراح هذا القانون هو منع انتشار العدوى بين الزوجين ، تلك العدوى التي نص الاسلام على ان الاحتياط منها من آكد تعاليمه واوجب فروضه ، فقد ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يوردن مجرب على مصح) يعني ان صاحب الابل الجرباء يمنع عليه الدخول بها على ذي الابل الصحيحة لئلا تنتقل عدواها ، ولا شك ان هذا الحديث صريح فى ان الوقاية من العدوى واجب شرعا ، واذا كان نبي الرحمة ورسول السلام قد نهى عن ايذاء الابل بسبب العدوى وحض على ابتعاد الابل الجرباء من الابل السالمة ، حتى لا تتضرر بمثل دائها ، فما بالك بالانسان؟ فالمحافظة على الابدان من الكليات الخمس التي اجمعت الشرائع على المحافظة عليها ، والتفكير فى مستقبل الطفل والمحافظة على صحته يجب ان يكون ، كما قلت فى طليعة المقال ، يوم عقد القران .

وبما ان العرف الجاري عندنا ان ميعاد الزفاف يتاخر حسب الاستعدادات والامكانيات ، فاني ارى من الاحسن للشاب الذي يريد ان يبني بخطيبته ؛ ان يكون قد تحصن من الامراض المعدية ، وذلك بان يفحص نفسه مرة ثانية حتى يتحقق خلوه من اي مرض معد ينتقل الى شريكة حياته ، محافظة على مستقبل النشء الذي هو اللبنة الاولى فى صرح المجتمع .

ويظهر ان تطبيق هذه الفكرة — وان كانت تبدو الآن عسيرة — ستكون من العوامل الفعالة التي ستساعد على خلق نشء صحيح فى بنيته وجيل قوي فى عقليته .

فما راي القارىء فى هذه الخطرات .



من معالم (الرباط) التاريخية ، مسجد حسان وصومعته الشهيرة ، شيده الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ، تبلغ مساحته 26000 مم ويبلغ طوله 189 م وعرضه 146 م وبه 12 بابا ، ولا زالت اطلاله وسواريه شاهدة بعظمة ذلك العصر .

اما صومعته فتعد من اعاجيب الفن المعماري ، وهي غير تامة البناء ، ويبلغ عرض كل جهة من جهاتها 19 م ، وارتفاعها 44 م ، وهي المنارة الثالثة بعد (الكتبية) بمراكش (والخيرالدة) باشبيلية .

عن كتاب (المغرب) للاستاذ الصديق بن العربي .

تصوير : عبد السلام الجزولي .

كرامة الفرد

للأستاذ :
سعد زغلول



لعل اول ما يجب ان نتحدث عنه ونحن نستعرض كرامة الفرد ما جاء فى الاسلام نحوه .

اعلن الاسلام ان الانسان ليس مخلوقا تافهـا ، وانما هو كائن له عزته وجلال قدره ... له شـرف تكوينه وسمو فطرته... خلقه الله على صورته، ووهبه من القوى المستكنة فى اطوائه ما يجعله قادرا على اخضاع هذه الطبيعة الجبارة المهيبة لسلطانه ؛ فكان بهذا درة لامعة فى تاج مخلوقاته .

واعلن الأسلام ان هذا الانسان حينما استكمل الصورة التي ارادها الله له ، والمعاني التي ابتغاهـا لحاضره ومستقبله ... ومستقبل الارض التي هياها له ... ليؤدي الرسالة التي اعد لها ؛ او اعدت له ــ استحق تكريمه فكرمه :

« ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم فى البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

كرمه الله ثم طلب الى الملائكة تكريمه وتعظيمه بالسجود له :

« واذ قال ربك للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر »

وزيادة فى تكريمه اعلن ان ارادته قد اقتضت ان يكون خليفته فى الارض ؛ وانه هياله جميع الوسائل المؤدية الى هذا المقام السامي ... مقام الخلافة العظمى بـ (سخر) له ما فى السماوات وما فى الارض (جميعا) :

« الله الذي خلق السماوات والارض وانزل من السماء ماء واخرج به من الثمرات رزقا لكم و (سخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره و (سخر) لكم الانهار و (سخر) لكم الشمس والقمر دائبين و (سخر) لكم الليل والنهار » .

هذا هو الانسان فى نظر الاسلام ... الانسان على اية صورة او لون ، ومن اي جنس او سلالة .

انه كائن قوي عظيم حظى بشرف تكريم الله له ، وما كرمه الله واكرمه ؛ فمن حقه ان ترعى كرامتـه وتصان ، وان لا يهبط بها الى منازل المهانة والزراية بحال .

من حقه ان يكرم فى مجموعه، ومن علامات تكريمه منحه الفرصة كاملة ، لبلوغ الغاية التي ارادها الله له ؛ واداء الرسالة التي نيطت به فى الارض ؛ فلا يقف فى طريقه واقف ، ولا تعترض القوى التي أودعها الله فيه ؛ ولا وسائلها للانطلاق ، سدود ولا قيود .

من حق الانسان ان يكرم ويقوم ، ومن الواجب ان يعترف له دوما بكرامته المتاصلة ، حتى يتحقق فى النهاية وعد الله له :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض »

واعلى درجات العمل الصالح ما كان مستهدفا خير الفرد والجماعة والبشرية .

تلك هي نظرة الاسلام الى الانسان ، وهي دعوته السامية :

للانسان كرامة يجب الاعتراف بها ؛ وكرامته من كرامة الله الذي خلقه على صورته . وطلبه الاعتراف بكرامته هذه ، حق له لا يجوز انكاره ، او التنكر له .

البيضاء　　　　سعد زغلول





انسيت ، هلا تذكرين !
في ليلة العيد السعيد
في ليلة البعث الجديد
كان الرفاق يدندنون وكنت ابدو متعبا
فجذبتني وهمست لى لحنا لدى محببا
وعيونك الزرقاء كانت للسماء
مرفوعة تخفي البكاء
وانا مضيع والدموع
حرى تناثر في خشوع

لا ، لست انسى يوم حطمت القيود القاشمة
ومددت كفي نحو صدرك استبيح مناجمه
فلمست ثم غدائرا شقراء ريا ناعمه
كالزهر برفل حالمه
ومضى النشيد العذب يغمر بالسعادة والهنا
دربي واباصي انا

ومضت ليالي العيد صفوا وازدهار
في روضة الاحلام تطفح بالاماني الكبار
القاك من غير انتظار
فنظل نرتع ، ننثني ... نجري ونقطف الثمار
لكن تولاك ازورار
فذهبت من غير اعتذار
وتركت احلامي غبار
لا ، لم ترقك حياتيا
فضحكت من اشعاريا
ونسيت يوم همست لي !!!!!! ....

نقد الكتب

كتاب الاستقصا

لأخبار دول المغرب الأقصى

لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري

نشر لثاني مرة بتحقيق ولدي المؤلف الاستاذين : جعفر ومحمد ، وقامت بطبعه دار الكتاب بالبيضاء ، ولا شك ان اعادة طبع هذا الكتاب مما كانت الاوساط الثقافية ـ في المغرب والمشرق ـ تنتظره بفارغ الصبر ، وهي الآن تتلقفه بكثير من الفرح والسرور .

فهو الكتاب الذي يعد حتى الآن مرجعا هاما ـ او اهم مرجع جامع ـ عن تاريخ المغرب منذ فجر الاسلام حتى نهاية سلطنة المولى عبد العزيز او ما يقاربها .

لنترك التحدث عن الكتاب وقيمته : فذلك ما هو معروف مفروغ منه من لدن الجميع ، ولنتعرض الى بعض الملاحظات عن طبعته الجديدة الانيقة التي ظهر فيها الكتاب وقد جزء الى تسعة اجزاء في صفحاتها الناصعة البياض الصقيلة الملمس المتوسطة الحجم . وقد زودت تلك الاجزاء بفهارس ذيلت بها ، وشملت الاعلام والقبائل والاماكن بعد ما قدم الجزء الاول بمقدمة حافلة في ترجمة المؤلف وكتابه الوافي وكيفية جمع صاحبه لمصادره المختلفة من عربية واوربية ؛ مما يلقي على هذه اضواء كثيرا ما كان القارىء يقف عندها مستفهما عن ثقافة الرجل ومدى امتدادها الى الثقافة الاوربية ... ولقد استغرقت تلك المقدمة الهامة 54 صفحة كنا في حاجة ماسة اليها ...

وبقي ان نلقي نظرة على صلب الكتاب والتعاليق الخفيفة التي زود بها من لدن ولدي المؤلف نفسه ، فنرى ان هذه الطبعة امتازت عن الاولى بما اضيف اليها من زيادات قليلة نقلها ولدا المؤلف من خط يده كما امتازت بتلك التعاليق للمؤلف نفسه او لولديه اللذين اشارا فيها الى عدة مراجع مفيدة من عربية وافرنسية كما اشارا فيها الى بعض التصويبات فيما وقع فيه المؤلف من اخطاء في قضايا التاريخ او بعض اعلامه ...

على ان من بين تلك التعاليق ـ خصوصا منها ما كان للمؤلف نفسه ـ ما استهدف لاخطاء طفيفة ؛ مثل التعليق على القيروان بانها كانت اقدم من ايام عقبة بن نافع ، وانها مذكورة قبل المسيح مستشهدا ـ فيما استشهد ـ بالفيلسوف (أرستب) تلميذ سقراط وانه منسوب اليها . والواقع ان Aristippus ليس منسوبا الى القيروان ، وانما هو منسوب الى قورينا Syrene التي كان موقعها في طرابلس بيني « غازي » اما القيروان فمع وقوفنا في مسالة اقدميتها عن ايام عقبة بن نافع ، ليست هي المدينة التي ينسب اليها الفيلسوف او الواردة في الانجيل ...

ومهما يكن فان مثل هذه الاخطاء قليل ، كما ان الاخطاء او الاغلاط الطبعية قليل بالنسبة الى ما تخرجه المطابع العربية الاخرى من كتب وغيرها . وذلك بفضل ما بذله ولدا المؤلف من همة في اخراج الكتاب اخراجا يتناسب مع هذا العصر . ولقد تنبها الى تلك الاخطاء او الاغلاط فوضعا لها فهرسا للتصويب ، الا انهما فاتهما في ذلك كثير منها ، كما انهما اقتصرا في تلك الفهرس على الجزء الثاني والثالث واهملا بقية الاجزاء التسعة

وقد سمعنا انه كان في نيتهما ان يضما الى الكتاب جزءا عاشرا يكون الحلقة التاريخية الاخيرة ، وهي المرحلة التي تبتدىء من عصر المولى عبد العزيز الى الآن . وحبذا لو نفذا هذه الفكرة وانضم اليهما في هذا المشروع القيم من يشاطرهما فيه من رجال المغرب المعنيين بالتاريخ ، او شاركوا في احداثه الاخيرة ، او شاهدوها فسجلوها كما هي من دون حيف او محاباة ، وبذلك يضم الى الكتاب حلقة من اهم الحلقات التي ما زالت اطرافها حتى الآن مترامية في مراجع شتى وذكريات لا حصر لها .

م ت

نقلا عن مجلة « تطوان »

حول قصيدة موكب الربيع

للأستاذ

محمد الحلوي

ليس من شك في ان المخلصين من شباب هذه البلاد والعاملين من ادبائها قد عقدوا القلوب والايدي لبناء نهضة ادبية تواكب النهضة العلمية والاجتماعية ، وتسد الفراغ المخيف الذي نشعر به جميعا ، وتحول هذا الركود المطبق الى حياة دافقة ونشاط فكري رزين ومن واجبنا ونحن نحاول بناء هذه النهضة على اساس صحيح أن نتلافى الاخطاء وننشد الكمال منذ بداية الطريق وفى جميع المحاولات . وبذلك نستطيع ان نتضافر لخلق ادب مغربي صحيح ، والتاج نظيف يشرف الحاضر ويلاءم وعظمة الماضي المجيد .

ذكرت بهذا لاني قرات فى العدد العاشر من (دعوة الحق) الفيحاء قصيدة للشاعر الاستاذ عبد الكريم التواتي ، يرحب فيها بالربيع ومباهجه ، وينقلنا معه فى جو من الزهور والاحلام الى ربوة الحب مهيبا بالحبيب ان يغوص معه على اللذات ويتركا معا دنيا المضحكات .

وقد وقفت مليا امامها لانها شعر ربيع هذا المغرب الجميل الساحر بطبيعته والغني بمفاتنه . وعشت لحظات فى اجوائها التي تعج بالطيب والانسام والاحلام والعرائس والخرير والشحارير . وما شئت من هذه الاشياء التي احتشدت متدافعة ، فكان تزاحمها على الذهن وتساوقها فى اطراد وفى نفس واحد ، مضعفا لجمال الصور الشعرية وعاملا فى تقلص ظلالها .

قرأتها فوجدت نفسي اتساق مع اجراسها الموسيقية ، وانساب مع اغانيها وشطآنها ، واستهواني ـ بحق ـ موكب الربيع تباركه عرائس الجنان ، وتضفي عليه من سحرها سحرا ومن شبابها شبابا ، تغنيه فى ابداع ، فيمضي الموكب وفى يمناه نايه السحري ، وفى يسراه بسمات الفجر المطلولة ، كانت هذه الصورة اجمل ما فى القطعة وابدع ما تفتحت عنه شاعرية الاستاذ . . .

وكان الى جانب هذه الصورة الفنية البديعة ـ مع الاسف ـ ابيات فيها عثرات وعثرات ، كنت اتمنى ان يخلو هذا الموكب منها ، ليكتمل فيه جمال الفن وحسن الاداء ، وكنت اتمنى ان يكون الاستاذ اكثر يقظة وانتباها ، فان لشيطان الشعر كبوات طالما اودت بعباقرة الشعر ، فهل يتفضل الاستاذ فيتقبل هذه الملاحظات المتواضعة ، ويتسع صدره لمثلها ، لست ادري ؟ .

احب ان اعرف اولا راي الاستاذ فى كلمة (تاملات) التي هي اول ما يبدو فى مطلع القصيد ، وما الحاجة الى هذه الالف فى مثل هذه الكلمة . . . وهو بالطبع سيسلم انها من (تمل) كفرح وطرب ، ولن يصح ان تقول : تامل ، الا اذا صح ان تقول : طارب ، ومن المفيد ان نذكر وجود (تامل) وهو السيف القديم العهد بالصقل ، والبلد الذي يتسع للاقامة . . . فالالف كما رايت دخيلة ، ليس فى الاحتفاظ بها الا مخالفة لنصوص اللغة ، وليس فى الاستغناء عنها ما يخل بالوزن الشعري الذي اختاره لموكبه .

ويتحدث الاستاذ عن خرير النهر فى البيت السادس فيقول :

فيسر الشطآن والورد تحايا الربيع فى همسات

اي ان الخرير يهمس بتحياته فى اذن الشطآن والزهر كما لو كان يلقي اليه بسر ، وهو هنا ايضا يتنكب الاستعمال اللغوي الصحيح لكلمة (يسر) فيعديها الى مفعولين ، وهي لم ترد الا على تحوين اسر السر : كتمه ، واسر اليه بالامر : حدثه به سرا . وجريا مع اللغة التي ينظم بها يجب ان نقول ، : يسر الى الشطآن بتحايا الربيع ولكنه لم يفعل .

ويذكر عرائس الجنان وهي تغني للموكب فى البيت الحادي عشر فيقول :

ثم غنته فى اتساق وابداع مشوقين آيها المغريات

ومحط النظر هنا يتوجه الى كلمة (مشوقين) ذلك ان المعنى المفهوم ، والذي قصد اليه الاستاذ ولم يقصد الى غيره، ان غناء العرائس كان فى ابداع واتسجام رائع معجب جذاب، يستهوي الاسماع ويأخذ بالالباب ، فهو كما ترى معي ابداع واتساق معجبان شائقان وليسا بمشوقين ...

ومرة اخرى يصر الاستاذ فيستعمل كلمة يسر فى البيت الثاني عشر كما استعملها اولا فيقول :
فمضى موكب الربيع **يسر الكون** ما قد وعى من الآيات

فهل يتفضل فيضع يدنا على نص بهذا الاستعمال؟ وبماذا يجيب عن هذا البيت الموالي لهذا بالضبط وهو يتحدث عن الموكب فيقول :
حاملا فى يمينه نايه السحري **يوحي الوجود لحن** الحياة

هل سنكون فى حاجة الى ان نقرر ان اوحي لا تطلب الا مفعولا واحدا فى لغة القرآن والشعر ، **(فاوحى الى عبده ما اوحى)** فكيف جاز للشاعر ان يسلطها على مفعولين معا ، ويستدرك على العرب فيها وجها لم يعرفوه ؟

وفى جو الحب والنشوة العارمة يتحدث عن روحي الحبيبين فيقول :
وهنا — يا دنياي — ذاقا **اطاييب** الاماني فى صبوة الرنات

نقرا البيت فلا نلبث ان نتعثر بهذه الياء فى الاطاييب ، وهي ياء طفيلية لا تقرها العربية ، اذ ان الكلمة جمع لاطيب ، كأفضل وارذل ، ولعل النغم الشعري تحكم فى الشاعر فضغط على الكلمة ضغطة تمضخت عن هذه الياء الغير الطيبة .

وابتعد بك قليلا عن جو النقاش العلمي لاعرض على ذوقك هذه الصورة الادبية فى معرض الهوى والصبوات ، على شرط ان تسد اسماعك قبل ان تقرا معي هذا البيت الجشع :
هاهنا فوق ربوة الحب تستعذب فى **لذة — صدى القبلات**

اليس مما تتقزز منه النفوس وتمجه الاذواق السليمة يا اخي الاستاذ ، هذه الاصداء الفظيعة ، اصداء القبلات المدوية المنكرة ؟ الا ترى ان كلمة (صدى) توحي الى السامع بهزيم الرعد وفرقعة القنابل ؟ ما اظن ان احدا له حظ من ذوق يستعذب هذه الجلبة الصاخبة ويستطيب هذه الاصداء ، حتى ولو كان ادرد متهدم الاسنان ليس له الى التخلص من الاصداء والتمطقات سبيل .

والذي يستعذبه الذوق الرفيع فى هذا المقام ، انما هو الهمسات ، اما الاصداء فليست لغة الإدب والفن على كل حال .

واخيرا ما الحاجة الى قوله — فى لذة — وقد قال قبلها — تستعذب — انه كما لو قال تماما تستلذ فى لذة .

ولم يبق من ملاحظاتي على الاستاذ الا ان الفت نظره الى سقوط بعض الابيات واختلال وزنها ، ما دام قد قيد نفسه بالوزن الشعري العربي ، فله ان يعيد النظر فى البيت الخامس والسابع وفى العشرين والتاسع والعشرين .

ومع احترامي للاستاذ اؤكد له كما قلت مقدما ، اني لم اهدف من وراء هذه الكلمة الا للتعاون على خلق ادب مشرف نظيف ، واننا لن نبلغ هذه الغاية ما لم تتسع صدورنا واخلاقنا للنقد النزيه والتوجيه البريء.



شاعر الخلافة الموحدية ابو العباس الجراوي :

اهدانا معالي وزير التربية الوطنية والشبيبة والرياضة ، الفاضل المحترم السيد محمد الفاسي نسخة من كتابه القيم : (شاعر الخلافة الموحدية ابو العباس الجراوي) .

والكتاب من مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جسوس ، وهو فى الاصل محاضرة كان الاستاذ الوزير قد القاها بمعهد الدروس العليا بالرباط ، وكانت المحاضرة على وشك الصدور فى شكل كتاب مطبوع قبيل حوادث سنة 1952، وانما اخر صدور هذا الكتاب ما كان من حوادث هذه السنة ، والازمة التي اعقبتها واستمرت بعدها الى ان عاد جلالة الملك من منفاه ، وتحقق للمغرب ما كان يصبو اليه ويكافح فى سبيله من حرية واستقلال .

واخيرا صدر الكتاب فى حجم متوسط يحتوي على خمسة واربعين صفحة ، وملحق فى تسع صفحات؛ وهو مصدر بترجمة للاستاذ السيد محمد الفاسي .

والكتاب ، او المحاضرة ، عبارة عن دراسة منهجية وافية للشاعر المغربي ابي العباس الجراوي وشعره ، وعصره ، واخلاقه .

ولم يكن معروفا من شعر هذا الشاعر المغربي الكبير الا خمسة عشر بيتا، لكن الاستاذ المؤلف استطاع ان ينقب عن شعره وان يحصل منه على كمية وافرة ، وان يجمع منه فى هذه الدراسة اكثر من اربعمائة بيت من الشعر ، ومع ذلك فهو يقول فى آخر الكتاب :

(ولعلنا بعد التنقيب فى خزانات المغرب التي نجهل ما تحتوي عليه من ذخائر ، نوفق الى العثور على ديوان مفخرة الادب المغربي الشاعر الجراوي رحمه الله) .

وقد عني الاستاذ الكبير السيد محمد الفاسي فى هذه الدراسة بتحقيق اسم الشاعر ونسبه ومكانته بين شعراء عصره ، كما عني بعلاقته بالخلفاء الموحدين الذين عاصرهم ، وعني على الخصوص بجمع اكبر قدر ممكن من شعر هذا الشاعر الهجاء ، وبمكانته فى غير الشعر من فنون الادب وانواعه ، وبمقدار حظه من الثقافة العامة ، ومن المعرفة بالفلسفة التي وجد الاستاذ المؤلف من شعر الشاعر ومن بعض النصوص التاريخية ما يدل على اشتغاله بها ، اما كتابة وتاليفا ، واما اطلاعا ومدارسة على الاقل .

وكنا نرجو ان يعنى الاستاذ الى جانب كل ذلك بالبحث عن القيمة الفنية لشعر الشاعر الجراوي ، وهي قيمة قد يشك فيها القارىء العادي ، او المثقف الذي يزن كل ما يقدم عليه بموازين عصره فقط ، غافلا عن ان كل انتاج علمي او فني او ادبي ، يجب ان يقوم فى حدود مفاهيم العصر الذي انجب صاحبه ، وفى حدود الحلقة من حلقات التطور التي بلغها العلم او الادب او الفن فى عهده .

والحقيقة اننا اذا نظرنا الى الشاعر الجراوي بهذا المقياس ، فسنجده شاعرا فحلا قويا ، متمكنا من اللغة العربية وآدابها ، عالما باسرارها ، خفيف الروح حلو الدعابة ، وهكذا كان ينظر اليه ايضا الادباء والنقاد فى عصره من مغاربة واندلسيين ومشارقة .

ولسنا نريد هنا ان نسوق نماذج من شعر هذا الشاعر ، لان ذلك لا يغني شيئا عن الرجوع الى الكتاب الذي تقدمه للقارىء ، وان كنا نعلم مقدما ان القارىء العادي ربما لا يجد الصبر الكافي على تصفح اوراق الكتاب ، والصعود والنزول بين مواده وبين التعليقات على هوامشه التي ترشد الى المراجع من مطبوع ومخطوط بمختلف المكتبات الخاصة والعامة ، داخل

المغرب وخارجه ، ولكن الكتاب لم يؤلف للتسلية ، فقد اسلفنا انه كان في الاصل محاضرة علمية جامعيـــة ، تستهدف التدقيق والمنهج العلمي الصحيح .

ونحن اذ نرجو من قرائنا أن يترفعوا عن مجرد طلب التسلية في القراءة ، وان يروضوا انفسهم قليلا على القراءة الجادة المفيدة ، نطلب ايضا الى استاذنـــا الكبير السيد محمد الفاسي الا يترك مهام الـــوزارة تشغله عن مواصلة كفاحه العلمي ، فان الخزانة المغربية (المرجوة) لا تستطيع مطلقا الاستغناء عنه او عن امثاله من قادة الفكر المغربي ورواده .

اللهـــاث الجريح :

انـــا والقمـــــر :

وتفضل ايضا الاديب الشاعر الاستاذ محمـــد الصباغ ، فاهدانا نسختين من كتابيه ، او من ديوانيه : « اللهاث الجريح » ، « وانا والقمر » .

وانا اسميهما ديوانين ، وان لم يكن فيهما وزن ولا قافية ، لان الشعر لا يعني الوزن والقافية ، وان كانا عنصرين مهمين من العناصر الشكلية في الشعر ، وانما يعني قبل كل شيء ، التعبير الفني الجميل عن الشعور الحي والعاطفة المشبوبة والخيال الطليق ، وكل ذلـك متوفر فيما ينتجه الاديب الصباغ .

❋

وقد عرفت الاديب الصباغ فوجدته هو نفســه (طبعة) من دواوينه التي قرائها ، وجدته هو نفســه ديوان شعر ، في رقة روحه ، وطيبة قلبه ، ولين حديثه، وجدته فنانا بكل مزايا الفنان ونقائصه ، فهو يرتبك اذا كرمته ، وتحمر وجنتاه اذا اثنيت عليه ، وهو يحب الناس جميعا ، ويذكرهم بخير ، ويعتبرهم جميعـــا اصدقاء .

وكنت انا الذي سعيت في التعرف على الاستاذ الصباغ ، قرات له قصيدة اعجبت بها ، فكتبت اليــه استاذنه في نقلها بمجلة (دعوة الحق) فكتب لي جوابا لولا انه خاص لهممت بنشره هو ايضا ، باعتباره قصيدة اكثر مما هو جواب .

وقد تفضل فزارني بعد ذلك، ثم اهداني نسختين من (اللهاث الجريح) و (وانا والقمر) .

وقد تصفحت الديوانين ، فاكدا لي الفكرة التي كنت قد كونتها عن الشاعر الصباغ من قراءة كتابـه (شلال الاسود) وقصائده المتناثرة في الجرائد والمجلات

ورايي في الاستاذ الصباغ انه شاعر رمزي ، وهو ــ فيما ارى ــ مرشح لان يصبح شاعرا رمزيا ممتازا .

واشهد انني لم اتذوق الشعر الرمزي في اللغــة العربية الا مرتين ، مرة في قصيدة مترجمة للشاعـــر الانجليزي (ادجار آلان بو) نقلها الى العربية الاستاذ الكبير محمد مندور ، واسمها (الغراب) ومرة ثانية وانا اتصفح دواوين الشاعر الاستاذ الصباغ .

وكنت قد بدات اعتقد قبل ذلك ، الا مكان في الادب العربي للمذهب الرمزي ، لان الرمزية في الآداب الاوربية والامريكية وليدة تطورات تاريخية خاصة ، وحلقة طبيعية من حلقات تطور الآداب الاوربيـــــة والامريكية التي جربت كل انواع التعبير والوانــه واشكاله ، حتى لم تعد تجد في تراكيب اللغة العادية ما يكفيها للتعبير عن عواطف اصحابها واحساساتهــم فاصبحوا يؤثرون الرمز والايحاء ومحاولة نقل القارىء او المستمع الى الحالة النفسية والجو العاطفي الـذي كان يعيشه الشاعر اثناء الانشاد ، مستعينين على ذلك بانواع غريبة من المجازات والاستعارات والاستعمالات اللغوية غير الطبيعية ، وباستعمال الصفات والالـــوان استعمالا غير مالوف ، وبنوع من التجاوب او الموسيقى او الجرس بين المفردات والتعابير .

وقد حاول كثير من الادباء العرب ان يترجمـوا روائع من الادب الرمزي ، فلم يفلحوا في ذلك ، لانه غير قابل للترجمة فيما يظهر ، وذلك لانه يفقد فيها اهم عناصره ، وهي قالبه الفني المرتبط بلغته الاصلية كل الارتباط ، وحاولوا كذلك أن ينتجوا ادبا رمزيا ــ وقد كانت مجلة (الاديب) تتزعم هذه الحركة ــ لكنهم لم يفلحوا في ذلك ايضا .

وبعد ، فاراني قد بعدت عن الاستاذ الصباغ ، وعن ديوانيه (اللهاث الجريح) و (وانا والقمر) ودخلت في حديث مجرد عن الادب الرمزي .

❋

اما اللهاث الجريح فمجموعة رسائل ادبية (فنية) متبادلة بين الشاعر وبين فتاة لبنانية ، مجنحة الخيال

هي الاخرى ، مشبوبة العاطفة ، ولست ادري ما اذا كانت فتاة (واقعية) ام انها لا تعدو ان تكون (رمزا) من (الرموز) . فقد اغرق الاستاذ الصباغ في (الرمزية) حتى اصبحنا نشك في (حقيقة) كل ما يكتبه أو يكتب عنه .

وقد قدم لديوان (اللهاث الجريح) اديب لبنان الكبير الاستاذ ميخائيل نعيمة ، ونكتفي بان ننقل هنا من مقدمته قوله :

(في المغرب العربي نهضة ادبية تبشر بالخير ، ومن المع رجالها اليوم (محمد الصباغ) فهو كاتب تتفجر عواطفه وافكاره من شق قلمه عنيفة ، صاخبة . ولذلك تراه يتنكب العادي والمألوف من قوالب البيان ، اذا نظم فبغير وزن وقافية ... واذا نثر كسا مفرداته وعباراته حللا من الالوان بين زاهية وقاتمة ، ثم اطلقها تدرج على اوتار تعددت مفاتيحها وتنوعت قراراتها .

❊

واما (انا والقمر) فمجموعة قصائد ومزية قصيرة ، قد لا تتجاوز الواحدة منها اربعة ابيات او اشطار او جمل او كلمات ، او مالست ادري بعد ، كيف ينبغي ان اسميه ، ولعل من المستحسن ان اعرض نموذجا منها على القارىء ، على الشكل الذي رصها عليه صاحبها في الديوان ، عسى ان يوفق القارىء الى ما لم اوفق اليه ، فيجد تسمية لهذا الشيء الذي عنونه الشاعر بهذا العنوان : (غفوة بيضاء)

ضممتك في راحتي ،
والقيتك في عيني .
ستفيقين على نظرة :
تنقر في الفجر
الوان الزهر

انتهى بنصه

ومع ذلك فان في الديوان الصغير قصائد رائعة ، كالقصيدة التالية تحت عنوان (عندما) وانا انصح القارىء قبل ان يقراها ، ولكي يستطيع ان يتذوقها ، الا يحاول مناقشة الالفاظ والتراكيب والاستعمالات اللغوية ، وان يستسلم لها ، ويقراها في شبه لا وعي ، وان يقراها في نظرة واحدة اذا امكن ، اي ان ياخذها جملة لا تفصيلا ، فسيجد لها في كيانه خدرا لذيذا ، وسيثور بعواطفه انفعال غير محدود المعالم ، ولعل ذلك ما يقصده الشاعر ، او ذلك ما كان يجده وهو يشهد ميلاد قصيدته :

عند ما تغضبين :
اشعر بعاشق ينتحر في دمي :
دمي الاسود .
ارى غزالا يقلع عينيه .
اتنشق عويل الدفلى

❊

وعند ما تبكين
احس بدموعك تخدش قلبي :
فتشرب عيناي من النور الاسود .
وتقبض يداي على عاصفة
من الزجاج المتكسر

❊

وعندما تبسمين :
تطلقين من شفتيك
اشرعة من ياسمين وحمام :
فأشعر وكاني
اقطف من جمجمتي عناقيد السرور

❊

العدد الثالث من مجلة « رسالة الاديب » :

صدر العدد الثالث من مجلة « رسالة الاديب » في ستين صفحة ، حافلة بالابحاث والمقالات الادبية والقصائد الشعرية .

واول ما يطالعك في العدد ، المحاضرة العظيمة التي القاها الاستاذ الزعيم السيد علال الفاسي بنادي الثقافة التابع للشبيبة الاستقلالية بالدار البيضاء ، تحت عنوان « ازمة الاسلوب » وهي محاضرة تعالج الظاهرة التي يعاني منها العالم اليوم ، والتي تجعل واقع الناس غير مطابق لادعاءاتهم واقوالهم وما يعلنون عنه من مبادىء وافكار ، فالدول العظمى في العالم تنادي كلها بالسلام ، وتستعد للحرب ، وتدافع عن الحريات وتدوسها ، وهي تجد من اللغة ، ومن المنطق المصنوع الذي تخترعه او تنتحله ، ما يساعدها على تبرير اعمالها، ومحاولة تأويل ما يبدو من تناقض بينها وبينما تعلنه من المبادىء والافكار .

والفرد يستطيع ان ياتي كل عمل ، وهو على استعداد دائما لتبرير اعماله والدفاع عنها ،بدعوى الحرية او بدعوى مقتضيات العصر او ما الى ذلك .

ولن نحاول تلخيص المحاضرة ، ولا وضع عناوين لافكارها الجزئية التفصيلية ، فان ذلك عسير كل العسر ، وذلك لان المحاضرة ككل ما يكتبه الاستاذ الزعيم ، في كل عبارة منه فكرة ، والعبارات تتجمع كلها لتخدم الفكرة الاصلية التي كتب من اجلها الكتاب او المحاضرة او المقال .

ان كل ما تقراه للزعيم الاستاذ علال الفاسي يزيدك علما ومعرفة وعقلا ، ويفتح عينيك على آفاق واسعة ، ويحيلك الى شخص آخر يختلف عن الشخص الذي كنته قبل ان تبدا القراءة .

وكم كنا نود لرجالنا الاعلام ان يقتدوا بالاستاذ علال ، فلا تشغلهم مهامهم ومسؤولياتهم عن التفكير والتوجيه والانارة والارشاد ، والا ينسوا مسؤولياتهم الاخرى في ميدان الفكر والثقافة والعمل العقلي المجرد.

*

وننتقل بعد ذلك الى باقي موضوعات العدد ، فنجد مقالا للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله بعنوان « العربية لغة الحضارة » وهو بحث علمي تاريخي مليء بالنصوص والاستشهادات المنقولة عن اعلام الكتاب والمؤرخين من شرقيين وغربيين ، وهو بحث يستهدف ابراز الدور التاريخي الذي لعبته اللغة العربية في بلاد العرب وفي البلاد التي دخلتها العربية في ركاب الاسلام ، كايران والهند وبلاد شمال افريقيا واسبانيا وفرنسا وصقلية وغيرها من البلاد التي عرفت الفتح الاسلامي كما يستهدف ابراز القيمة العلمية والحضارية لهذه اللغة ، ويختم الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بحثه بكلمة للاستاذ ماسينيون : (ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي ، وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا ، لهو العنصر الجوهري للسلام بين الامم في المستقبل .

*

ومن المواد التي اعجبتني في العدد ايضا مقال نقدي لطيف كتبه من آسفي ، المدعو (بوزانبو) ولست ادري ما اذا كان هذا هو اسمه الحقيقي ام انه قناع مستعار ، فان كان اسمه فلا باس ، وان كان مستعارا فنحن نرجوه ــ رفقا باعصابنا ــ ان يغيره ، وان يختار قناعا غيره اقرب الى الذوق ، وادنى الى عدم التخويف والافزاع .

والمقال مع ذلك لطيف ، كتبه صاحبه في نقد قصيدة بعنوان (قم يا اباه) نشرت بالعدد الثاني من « رسالة الاديب » وقد كانت هذه القصيدة نصب عيني هي وبضع مقالات اخرى ، عندما نصحت لرسالة الاديب في المقال الذي كتبته عنها في العدد العاشر من مجلة « دعوة الحق » ان تدقق قليلا في الاختيار .

وقد احسن الاستاذ (بوزامبو) نقد قصيدة (قم يا اباه) في اسلوب هزلي رشيق ، وان كانت القصيدة اتفه من ان تنشر ، ومن ان تكتب المقالات في نقدها ، وكان اولى بقلم التحرير ان يبعثها مكرمة الى سلة المهملات ، فيوفر على المجلة ثلاث صفحات ، الصفحة التي كتبت عليها القصيدة ، والصفحتين اللتين كتبتا في نقدها .

*

ومن مواد العدد بضع مقطعات او قصائد صغيرة للشاعر المرحوم محمد حسن المراكشي ، ونحن نحمد لجمعية الاديب اهتمامها بهذا الشاعر البائس ، وعملها على بعث الادب المغربي وابرازه الى النور . واكرر هنا رجائي لها ان تعمل على نشر بعض اشعار المرحوم محمد بن ابراهيم شاعر الحمراء بالرغم من راينا جميعا فيه ، لا في شاعريته .

وكم ارجو لو يوضع خط فاصل بين شاعرية هذا الشاعر الكبير ، وبين ما اضطر اليه من صلات طلبا للعيش ، وان كنا جميعا متفقين على ان المثل الاعلى في الحياة يجب ان يوضع فوق كل اعتبار ، حتى فوق الخبز نفسه .

*

وسيطول بنا المقام اذا اردنا ان نتحدث عن كل مواد العدد ، لذلك اكتفي بان الفت نظر القارىء هنا الى بعض المقالات ، كمقال : مدينتي تنتقم ، للاستاذ عبد الجبار السحيمي ، والتاثرات النفسية والتاريخية بين الدين والفن ، للاستاذ محمد الحبيب .

ونحن نرجو اخيرا لمجلة « رسالة الاديب » مزيد التقدم والازدهار .

عبد القادر الصحراوي

فهرس العدد الحادى عشر

الصفحة

مطبعة فضالة ـ فضالة



تكسو الاراضي المغربية غابات كبيرة من اشجار (الكليبتوس) فتكسبها روعة وجمالا وتعود على اقتصاد البلاد بالخير الكثير .